

الطبى

الحجامة

بين العلم والدين

د. صهباء محمد بندق

الحجامة

بين العلم والدين

د. صهباء محمد بندق


كتاب اليوم

ليس هذا الكتاب كتاباً تعليمياً وليس مرجعاً يمكن الرجوع إليه لتعلم ممارسة الحجامة.

المعلومات المقدمة فى هذا الكتاب هى بغرض الإرشاد والتثقيف الطبى ولا تغنى بأى حال من الأحوال عن استشارة الطبيب المختص.

لا تقم باستعمال الحجامة أو أى وسيلة أخرى لتعزيز جهازك المناعى دون الرجوع للطبيب و أهل الاختصاص أولا، فليست كلّ طرق دعم المناعة مناسبة لجميع حالات ضعف المناعة وإن تشابهت الأعراض.



أسسه مصطفى وعلى أمين ١٩٥١

رقم ٣٤٣
منتصف فبراير ٢٠١٥

يصدر كل شهر عن
دار أخبار اليوم
٦ شارع الصحافة - القاهرة
تليفـون: ٢٥٩٤٨٢٢٣
تليفاكس: ٢٥٧٨٤٤٤٤

تحـريـر
عمـرو أبو السعود
تامـر عـــرفات

للإعـلان
٢٥٧٨٦١٣٧
٢٥٧٥٩٤٥٥
٢٥٨٠٦٢٠٦
٢٥٨٠٦٢٧٨

الاخراج الفنى والغلاف
طـارق عبـدالعـزيز

■ أسعار البيع خارج مصر

سوريا ٢٠٠ ليرة ـ لبنان ٥٥٠٠ ليرة ـ الأردن ٣ دينار الكويت ١,٢٥ دينار ـ السعودية ١٥ ريال ـ الامارات ١٣ درهم البحرين ١,٢٠ دينار ـ سلطنة عمان ١,٥ ريال تونس ٥ دينار ـ المغرب ٣٧ درهم ـ اليمن ٧١٥ ريال رام الله ٢,٧٥ دولار ـ غزة ٢,٥ دولار

■ الاشتراك السنوى

داخل مصر		٨٤ جنيها
الدول العربية	٢٩٠ جنيه	٥٠ دولار
االدول الأوربية	٥٣٠ جنيه	٩٥ دولار
أمريكا ـ استراليا ـ نيوزلاندا	٦٥٠ جنيه	٤٧ دولار

■ الموقع الالكترونى
www.akhbarelyom.com

■ البريد الالكترونى
kitabelyom@gmail.com

■ موقعنا على الفيس بوك
https://www.facebook.com/Ketabelyom

تخفيض ١٠٪ من قيمة الاشتراك لطلبة المدارس والجامعات المصرية



أول الكلام

إذاً الحجامة ليست ضمن موروثات الطب الشعبى، أو أبعد تاريخياً حيث أشارت إليها السنة الشريفة، أو حتى أكثر توغلاً فى الماضى وصولاً العصور الفرعونية، بل الحجامة تستند لأصل علمى، ثم انها ليست علاجا فحسب، وانما ايضاً هى أداة وقائية بامتياز، هكذا، دفعة واحدة، وقفت أمامى تلك الحقائق، على مسئولية طبيبة، كان جانب من دراساتها العليا منصباً على الحجامة مالها، وما عليها!

سعت د. صهباء إلى كتاب اليوم، وهى تحمل مشروع كتاب عن «هشاشة العظام»، فإذا بفكرة أخرى تماماً تكون محور نقاشى معها، وتقتنع الباحثة، وتتبنى الفكرة، ثم ما تلبث أن تعود حاملة بين يدها هذا الكتاب.

نظرة أولية سريعة، ثم قراءة متأنية، فإذا بى أرى وأقرأ ما لم يخطر لي، بل أعترف أننى كنت دائماً فى صف المتحفظين على اللجوء لعملية الحجامة، ربما من أثر مخاوف كان وراءها بعض المحتالين أو الجهلة.

الآن؛ الأمر أصبح مختلفاً بشكل جذرى.

بحث علمى جاد يؤصل للحجامة، ويلقى عليها نظرة جديدة، ويشير لطريق غير تقليدى يصحبك خلال محطاته للتعريف بالحجامة من الألف إلى الياء.

شرح وافٍ عبر صفحات الكتاب لأنواع الحجامة، وطرقها، وأدواتها، تزيل المخاوف والهواجس التى لازمت البعض، من جانب آخر، سعت المؤلفة كذلك ألا يكون اعتقادها بجدوى الحجامة دافعاً للتهويل من خلال حماس لايحتاج إلى بذل أى جهد لاكتشافه، لكن الموضوعية، والمنهج العلمى الذى اتبعته كان سياجاً وإطاراً حال دون المراوحة بلا حسم بين التهوين والتهويل، فكانت الحصيلة تقديم رؤية جديدة موثقة علمياً، تبعث الطمأنينة فى النفوس، وتزيل آثاراً سلبية علقت طويلاً بسمعة عملية الحجامة من جراء دخول الهواة والجُهال على الخط!

غير أن الجانب الأهم - طبقاً لتقسيم ذاتى - فيما اجتهدت فيه الباحثة، إنما

يرتبط بتقوية الجهاز المناعى، باللجوء للحجامة، لاسيما أن أمراضاً مناعية عدة أصبحت أكثر شيوعاً وانتشاراً، واتسعت دوائر الداخلين ضمن ضحاياها من كل الأعمار، والمستويات الاجتماعية، من ثم فإن التأسيس لاستثمار عملية الحجامة لتقوية الجهاز المناعى علاجياً ووقائياً، ربما يكون طاقة أمل تحتاج لاضافة ضمانات تجعل من يُقبل على الولوج إلى دائرة الحجامة أكثر ميلاً لنوع من الراحة النفسية يحتاجها ضحايا ضعف الجهاز المناعى الذين يتأثرون بشدة من جراء اعتلال حالتهم المزاجية والنفسية.

....

وفى المحصلة النهائية، فإن الباحثة فيما خلصت إليه كان نتاج دراسة علمية منهجية، ولم يكن ربطها بين الطب الحديث والحجامة مجرد شطحة خيال، أو حتى اجتهاد نظرى، ولكن ثمة إصرار على دمجهما، وبالتجربة العملية وفق المعايير التى يتطلبها البحث العلمى، ولعل ما يؤكد توفيقها إجازة رسالتها للماجستير حول تلك العلاقة التى ظنها البعض ستبقى ملتبسة دائماً أبداً.

خلاصة أخرى لاتقل أهمية تتمثل فى ان العلاج بالحجامة من خلال الطبيب المؤهل لهذه المهمة طريقة على بساطتها، وقلة كلفتها، فانها فعالة وذات أثر يلمسه المريض، ومن يعانون معه بسبب الاضطرابات المناعية التى قد تؤثر على حركته ونشاطه وعمله بالسلب.

وحتى لا أطيل، واترك للقارىء الحكم بنفسه على اجتهاد المؤلفة، فقط أحرص على إشارة أراها واجبة، تتعلق بطبيعة الكتاب الذى يجمع بين دفتيه ما هو تاريخى، إلى جانب الدينى، وبالطبع العلمى، وغايته إزالة كل إمارات الريبة والشك التى أحاطت أذهان الكثيرين بعملية الحجامة.

وأخيراً؛ فالكتاب على نحو ما يمكن اعتباره دليل القارىء إلى عالم مثير لايكشف كل جوانبه، لكنه بالتأكيد يشير إلى ما يسقط أوهاماً، ويبعث برسائل الاطمئنان، وذلك بحد ذاته يكفى لأن تقرأه من السطر الأول حتى السطر الأخير.

علاء عبدالوهاب

تقديم

باسمك اللهم أقرأ وأكتب .. راجية منك التوفيق والسداد.

الحجامة «cupping Therapy» أحد أبرز العلاجات التى وردت فى كتابات كبار الأطباء القدامى ولازالت تستخدم على نطاق واسع ضمن ممارسات الطب الشعبى . فهى أسلوب طبى قديم ومحترم جداً فى الثقافة الشعبية لكل حضارات العالم .. فهى من أقدم صور العلاج التى عرفتها البشرية (منذ ٥٠٠٠ سنة) .. التى لاقت رواجا واسعا فى كافة أنحاء أوروبا وآسيا بالإضافة إلى الصين لعدة قرون. كما عرفها العرب وتطببوا بها فهى بلا شك تمثل أحد أعمدة الطب العربى . فالحجامة إلى جانب الفصد والكى تشكل مثلث العلاجات الجراحية فى الطب العربى القديم.

وقد تطور مفهوم الحجامة على مدى قرون عديدة .. غير انه؛ وهذا النوع من المعالجة بالذات؛ بقى محتفظاً بمكان ثابت على قائمة كل تصنيفات ومسميات الطب؛ فلابد أن تعثر على اسم الحجامة مصنفاً تحت قائمة « الطب الفرعوني» .. « الطب الشعبى » .. « الطب الصينى» .. « طب الأوروفيدا الهندى » .. « الطب البديل » .. « الطب النبوى» .. والطب العربى القديم الذى لا يزال يمارس فى الهند وباكستان تحت مسمى «يونانى نزامي» .. ولا بد أنك رأيته وهو يجاهد اليوم ليجد له موضعاً تحت قائمة « الطب الحديث» .

وما لفت انتباهى فى هذه الممارسة الطبية العتيقة هو أنها كانت تمارس لمنع حدوث المرض أكثر كونها علاجاً للظواهر المرضية. ففى قديم الزمان؛ كان الشخص يدفع للطبيب مبلغاً من المال حتى يضمن له الصحة الطبية؛ وإذا مرض الشخص؛ يدفع له الطبيب تعويضاً مناسباً.

ولكن على الرغم منْ الإستعمالِ التاريخى للحجامة ضمن فنون الطب المصرى القديم؛ و على الرغم من ان بَعْض الأطباءِ فى مصر لازالوا يمارسونه إلى اليوم– وإن لم يكن شائعاً -؛ وعلى الرغم من أن آلافاً من المرضى يدعون أنّهم إستفادوا من هذا النمط مِنْ المعالجة ،وأن آلآف من الأصحاء يشعرون بإرتياح وفيض من العافية عقب العلاج بالحجامة؛ إلا إن فعالية الحجامة فى تقوية الجهاز المناعى كانت ولاتزال مجهولةُ علمياً !

وبعيداً عن الأبعاد الطبية والعلمية للحجامة؛ فقد ورد فى صحيح الجامع عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ : «ما مررت بملأ من الملائكة ليلة أسرى بي،إلا كلهم يقول لي: «عليك يا محمد بالحجامة»... وقد استوقفنى هذا الحديث النبوى كثيراً.. وطالما تعجبت لذلك الإلحاح من الملائكة.. وتساءلت لماذا تهتم تلك المخلوقات النورانية بالحجامة؟ وهل كان النبى (ﷺ) مريضاً لتنصحه الملائكة بالحجامة ؟.. وشعرت أنه شرف لى أن أبحث عن أسرار تلك الوصية السماوية وإمكانية عرضها فى ثوب عصرى حديث يليق بشرف تلك الوصية المباركة.

ولذا؛ فقد أوردتُ فى مجرى حديثى الأول مع مشرفى الرسالة؛ أننى مهتمة بتقييم الدور الذى يمكن أن تؤديه الحجامة فى الطب الحديث؛

وأننى أرغب تحديداً فى بحث الادعاء التاريخى بقدرتها على تعزيز الصحة وتقوية جهاز المناعة . وكنت قد جمعتُ خلال سنوات معلومات قيمة عن الحجامة؛ وعلمتُ من خلال مطالعتى – تقريباً - لكل ما كتب عن الحجامة؛ أن الحجامة كما أستعملَت فى معالجةِ بعض الاضطرابات الصحية؛ استخدمت الحجامة أيضاً لتعزيز مناعة الجسم وتَقْوِية قدرته على مواجهة العدوى والأمراض وتحفيز الدورة الدموية؛ ويبدو انها أظهرت دوراً محتملاً فى إحداث الاعتدال المناعى ومحاولة ضبط وتنظيم العمليات المناعية المضطربة «Immunomodulatory Effect» لدى المرضى المصابين بأمراض المناعة الذاتية «Autoimmune Disease» . فتساءلت : لماذا لا تكون هذه الوسيلة إحدى المحطات التى يلتقى عندها العلم الحديث الذى نأخذ به ونطبقه اليوم؛ بالممارسة الشعبية والحكمة المتوارثة أيضاً ؟؟!

كنت قبل أن أصل إلى مرحلة الدراسات العليا؛ ألتقط الملاحظات حول الحجامة من تجارب المرضى وكتب تاريخ الطب وخبرة الحجامين الشعبيين؛ كنتُ أحاول أن أجمع المعلومات وأقرأ؛ وأن اتعلم ، وأتعلم ، وأتعلم أكثر كل شئ عن هذا العلاجَ العجيب الذى يرتكز على المعتقدات الدينية ويحظى بالأسرار والألغاز العلمية .. !!

ولكن هذا الاهتمام بالحجامة لم يأخذ شكله العلمى إلا عندما اتخذت مكانى على مقاعد الدراسات العليا؛ حيث لم يكن فى رأسى غير فكرة وحيدة لأطروحة الماجستير : إقامة جسور للتواصل بين الحجامة والطب الحديث ، وجعلهما يسيران ويعملان معا ، بحيث يساهم كل منهما فى تطوير أساليب العلاج وتقديم المزيد والمزيد من النفع والفائدة

للمرضى . و وجدتها فرصة لاستعادة حبى الضائع لهذا النوع من المعرفة الطبية المختلفة،الهادفة إلى الحصول على اللياقة الجسدية،بلا عقاقير مكلفة لاتخلو من أضرار جانبية،وبلا أجهزة معقدة ومبهظة.

وبإيمان مطلق اندفعت فى هذه المهمة الكبرى ، وبدأت فى دراسة كل المقاربات الممكنة فى محاولة لفهم الآلية الفسيولوجية التى تعمل بها الحجامة، وكنت على يقين مطلق بأنه ما من طريق لإدخال ذلك العلاج القديم فى منظومة العلاج الحديث إلا من خلال المعاينة والأبحاث التجريبية ، وبموافقة أساتذتى المشرفين على أطروحة الماجستير فُتح الطريق أمامى لتحقيق أملى فى إلقاء مزيد من الضوء على تأثير الحجامة على الجهازين الحركى و المناعى بشكلٍ خاص وتوضيح الآليات العصبية التى تعمل بها الحجامة بشكل عام.

و أقنعتُ أساتذتى أخيراً؛ وتقدمتُ بخطة بحث لأطروحة الرسالة التى سأُقدمها توطئةً للحصول على درجة الماجستير فى تخصص الميكروبيولوجيا الطبية والمناعة .

وخلصت الدراسة إلى أن العلاج بالحجامة طريقة فعالة وإقتصادية وبسيطة تساعد فى السيطرة على نشاط الروماتويد المفصلى ولكنها ليست بديلاِ عن العلاج الدوائى لمرضى الروماتويد و لا يمكن استخدامها إلا كعلاج مساند أو مكمل . كما أوصت هذه الدراسة بمزيد من البحث للتعرف على الآثار الفسيولوجية للعلاج بالحجامة والآليات التى يعمل بها هذا العلاج و إمكانية الاستفادة من تأثيره على الأمراض المختلفة.

• • •

إن إصرارى على محاولة الربط بين الحجامة والطب الحديث جعلتنى أبدو غريبة الأطوار فى نظر زملائى الذين غالبا ما أبدوا انزعاجا من إرهاق نفسى بمثل تلك الأفكار العتيقة، وإن بدا عليهم الشغف والتشوق لمعرفة معلومات أكثر عن الحجامة، ولم أدخر مناسبة للاستفسار عن نقاط الحجامة الموزعة فى أنحاء متفرقة من الجسم ، فكنت أسأل أساتذتى بشغف بالغ عن طبيعة تلك النقاط وأصلها التشريحى والجنيني. غير أن الأساتذة والطلاب معا كانوا ينصحوننى بالتخلى عن هذا العناد الذى لا طائل منه .

لكنى – ككاتبة وكطبيبة - لم أجد غرابة فى الأمر؛ قد لا أفهم تأثيرالحجامة ولكنى أصدقه .. فما دامت أى وسيلة قادرة على إحداث تأثير يعالج أو يخفف من حدة الأعراض فهى وسيلة طبية ... كنتُ أقول كما يقول معظم المرضى الذين جربوا العلاج بالحجامة ... « أنا لا يهمنى كيف تعمل .. المهم أنها تعمل »!

كنت أدرك أيضا اننى إذا بقيت أناقش الفكرة النظرية؛ فلن يدع ذلك أى أحد يصدقنى؛ وأن التجربة العملية هى التى ستجعل الجميع يصدق ... أن الرؤية بلا عمل تبقى مجرد اوهام؛ لذا قررت أن لا أدع سحر التاريخ و الروايات والقصص يغرقنى .. وأن عليّ أن اتوقف عن كتابة القصص عن الحجامة لأشرع فى كتابة الحقائق العلمية .. وأن أرجع كل ما قرأت وما عرفت عن الحجامة لمفاهيم العلوم الطبية الحديثة كلما أمكن .. إننى اليوم أسخر من شغفى الأول الساذج بالحجامة فى تلك الأيام ... ولكن لا بأس .. فعندما يهزأ الانسان من نفسه .. فهذا دليل على الثقة بالنفس .!

وبعد كل هذه السنين من الرؤية،والاستبصار،دعونى أعترف لكم بأن حماسى لم يفتر لهذا النوع المختلف من الخبرة الطبية،لكننى فقط أعتذر عن فرط الحماس السابق له . ولعلكم الآن تدركون كيف وُلد هذا الكتاب أخيراً من رحم تلك الدراسة المرهقة وتفاصيلها المشحونة بالمغامرة .. ليصل بين أيديكم بعد مخاض فكرى وعلمى طويل ... ويعرفكم على الحجامة .. لا كوسيلة علاجية كما هو شائع فحسب ... ولكن كإحدى الوسائل التى يمكن للإنسان أن يلجأ إليها هو أو أحد اقربائه لتقوية جهازه المناعى؛ ولرفع لياقة جسده وتعزيز قدرته على الوقاية، أو المساهمة فى الوقاية من الإصابة بالأمراض .او للمساعدة فى تسريع الشفاء وتسكين الألم فى حال حدوث الإصابة بالفعل . سوف يفصح لك هذا الكتاب عن كيفية مشاركة الحجامة فى عملية علاجك إن كنت مريضاً وكيفية محافظتك على صحتك إن كنت معافى.

ولـ هذا الكتاب قيمة خاصة تميزه عن كل الكتب التى سبقته فى تناول الحجامة؛ كونه كُتب بقلم طبيب متخصص أولاً .. ولكون مؤلفته قامت بدراسة رائدة تعد الدراسة الجامعية الأولى التى جرؤت - لأول مرة - على سحب الحجامة من ساحات الممارسة الشعبية إلى مدرجات ومعامل الجامعات الأكاديمية . وأخيراً لكون المؤلفة مارست الحجامة عملياً لفترة تتجاوز العشر سنوات ما جعلها على دراية جيدة بالمشاكل الشائعة –سواء كانت نظرية أو تطبيقية- التى تواجه الطبيب غالباً فى حقل ممارسته اليومية للحجامة !

ويفهم القارئ بالطبع؛ أن حجم الكتاب لا يسمح بالحديث عن كافة القضايا المُتعلقة بالحجامة والتى يواجهها غالياً كل من يحاول الكتابة فى

هذا الموضوع؛ حيث تتوزع أوراقه بين الملفات الدينية والتراثية وملفات الطب الحديث والطب البديل .. بل يشمل فقط كل ما يتعلق بتأثير الحجامة على المناعة . وهو أيضاً فرصة مهمة لتصحيح مفاهيم الارتياب والنفور التى تبثها بعض وسائل الإعلام فيما يتعلق بالحجامة .

• • •

لذا؛ أنصحك بقراءة هذا الكتاب باعتباره مرجعاً ملخصاً لفهم إمكانية استخدام الحجامة لدعم طاقات الاستشفاء الذاتى لجسمك والنهوض بقوتك البدنية؛ ولتتعرف على التفسيرات العلمية المحتملة التى قد تُفسر كفاءة الحجامة فى هذا المجال؛ ولكن ليس لتتخلص من طبيبك !!

وأخيراً؛ أحب أن أؤكد للقارئ الكريم أنى لم أكتب هذا الكتاب رداً على أحد؛ ولا دفاعاً عن احد؛ فقد بدأت بجمع مواده منذ سنوات،لكن الضجة الإعلامية الزائفة حول الحجامة ومبالغة أصحابها فى الفوائد المنسوبة إليها،ومن ثم ردود الفعل التى استنكرتها بشدة واعتبرتها لوناً من ألوان الدجل الطبى وموجة من موجات الشعوذة العلاجية التى تنشط من حين لآخر ثم تذهب لحال سبيلها؛ كان تضارب الحجامة بين الافتتان الشامل والاستهجان الشامل ما جعلتنى أسرع فى إنجاز هذا الكتاب مذيلاً بنتائج دراستى الشخصية فى هذا المجال؛ مع الإحاطة ما أمكن بما تقدمه لنا شبكة الإنترنت من أحدث المعلومات ليجد فيها كل من الفريقين- إن كان منصفاً – حقائق علمية وطبية مثبتة يمكن أن تكون جواباً لتساؤلاته وتمكنه بعد ذلك من الحكم الصحيح .

فإننى أهيب بالعقل أن يظل على حيويته وشرفه،أى أن يحتفظ

باليقظة النقدية،فكل ما يعرض عليه يحتمل الخطأ والصواب،وليس هدف هذا الكتاب أن يكون دليلا طبيا لمارسة الحجامة،بل هو مجرد طواف معرفى،قابل للاختيار منه،بانفتاح.. نعم،لكن بحذر أيضا. دون تهوين .. دون تهويل ..

كما أرجو من كل من زملائى الأطباء والباحثين فى علم البيولوجيا والمناعة وكل من آنس فى نفسه إمكانية التفضل بتزويدى بملاحظة أو رأى؛ أو نقد أن لا يتردد فى ذلك البتّة . وأكون له من الشاكرين لما فى ذلك من إيجابية ونفع للجميع .

ولكم أطيب أمنياتى .. وأصدق دعواتى بالصحة والاستنارة دوماً.

والحمد لله رب العالمين

د.صهباء محمد بندق

أخصائى الميكروبيولوجيا الطبية والمناعة

القاهرة فى يناير٢٠١٥

الفصل الأول

ماهى الحجامة ؟

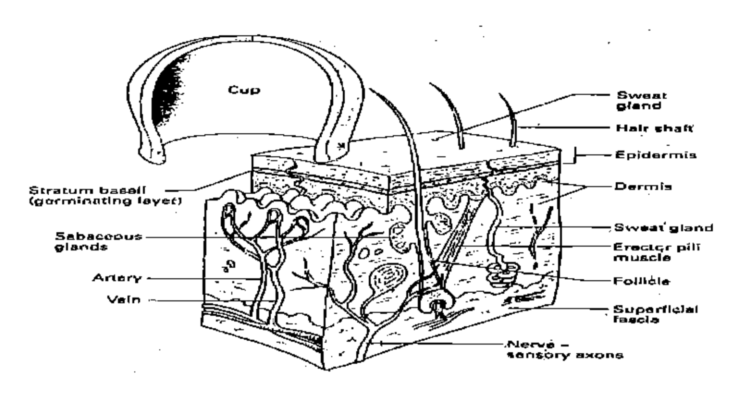


ما الذى تعرفه عن الحِجـامة ؟ والهدف منها ؟

والمفهوم العلمي الذي تقوم عليه ؟ والطرق الحديثة لاستعمالها ؟

هذا ما سيقدمه لك هذا الجـزء من الكتاب.

يُشيرُ إسم "الحجامة" إلى ممارسةِ علاجية قديمةِ أُستخدم فيها الكأس كأداة إمتصاصٍ توضع على مناطق محددة على الجلدِ بهدف توليد ضغطٍ سلبي (-ve pressure) داخل الكأسِ إما بإستعمالِ شعلة صغيرة من اللهب الصغير يُزج بها سريعا-قبل أن تحرق كلياً - داخل الكأسِ ثم وضع الكأس بسرعة مقلوبًا على موضع مستو نسبياً فوق سطح الجسم وتْركُه فى هذا الموضع مدة خمس إلى عشْر دقائقِ، أو باستخدام آلة شفط يدوية أو كهربائية تَعمل على امتصاص وتفريغ الهواء من الكأس؛ حيث يعمل الكأس المُفرغ من الهواء على مصّ سطح الجلد وجذبه لأعلى بإتجاه الكأس. وتعرف الحجامة فى اللغة الإنجليزية باسم (Cupping) وهو اسم مشتق من كلمة (Cup) وتعنى الكأس أو الفنجان نسبة إلى استخدام الكأس كأداة فى هذه المعالجة.



[1] مقطع عرضى لطبقات الجلد التى يؤثر عليها كأس الحجامة

١ مصدر الصورة : Cupping Therapy by Chirali, ١٩٩٩

عزف جديد على أوتار لحن قديم

الحجامة وسيلة تراثية قديمة أُستخدمت للعلاج والوقاية منذ عهود موغلة فى القدم؛ ولكن مع تقدم المعرفة الطبية وتغير نظرة الأطباء المعاصريين لطبيعة الامراض التى تصيب الإنسان ومسبباتها؛ ومع تطور علم التشريح والاقتراب أكثر من تركيب ووظائف أعضاء جسم الإنسان؛ كان من الطبيعى أن تتغير رؤية الأطباء المعاصريين للحجامة وأدواتها وتقنيات تطبيقها وممارستها ودواعى استخدامها عن الأطباء القدامى وإن تشابهت الفكرة الرئيسة التى يقوم عليها هذا النوع من الممارسة الطبية .

ولهذا؛ فبينما ترتكز الحجامة الحديثة اليوم على تصورات ونظريات تختلف عن تلك التى ارتكزت عليها الممارسة القديمة للحجامة؛ فإنها لاتزال تمارس باستخدام فكرة كاسات الهواء ذاتها التى كانت تستخدم فى الطب الشعبى؛ فالحجامة الحديثة نظرياً ما هى إلا عملية تطبيق الكاسات المعروفة فى الطب الشعبى على موضع معين . ولكنها عملياً تختلف اختلافاً جوهرياً يجعلها تبدو كممارسة جديدة كلياً . فالحجامة الحديثة تمارس اليوم فى عيادات طبية ومراكز متخصصة وبطريقة علمية وباستخدام أجهزة حديثة تيسر عملية الحجامة على الطبيب والمريض معا ، ومن خلال أدوات عصرية مُعقمة تُستخدم لمرة واحدة .

وبعيدا عن تفاصيل عملية الحجامة؛ فقد حدث تطوير كبير أيضاً فى فلسفة وطريقة تحديد نقاط الحجامة المناسبة لكل مرض. وأُضيف إلى تقنيات ممارسة الحجامة ملاحظات فنية كثيرة منها ما يتعلق بزمن تطبيق كأس الحجامة ودرجة الضغط السلبى على كل نقطة وكمية

الدم التى لا ينبغى تجاوزها فى كل جلسة . وهى قواعد وضوابط لم يكن يلتفت لها ممارسو الحجامة القدامى. وخرائط النقاط التى تطبق الحجامة عليها ، هى أيضاً تعرضت لكثير من التطوير والتنقيح . وهى متشابهه ومتقاربة وإن تنوعت المدارس النظرية التى ترتكز عليها.

وعند ممارسة الحجامة الحديثة أيضاً؛ يتم تشخيص المرض أولاً وفقاً لقواعد وأسس الطب العصرى الحديث؛ التى ترتكز على شكوى المريض ونتائج الفحوصات التشخيصية ممثلة فى التحاليل والأشعات التخصصية . وبناء على التشخيص يتم تقييم جدوى الحجامة لهذه الحالة المَرضية بعينها؛ ومن ثم يتم تحديد المواضع المناسبة لكل مرض والتى تختلف حسب حالة كل مريض أيضاً .

وهكذا؛ ولدت الحجامة من بطن التاريخ ميلاداً جديداً .. وعلى الرغم من كونها ليست من بين العلاجات الموصّى بها مِن قِبل كبار الأطباء،فقد بدأ الأطباء الشبان يتعرفون عليها ويتقبلونها ويتحمسون لدراستها؛ كصورة من صور الطب البديلَ التى تشمل كل أساليب الاستشفاء من جلسات التأمل والعلاج التخيلى وطرق إزالة التسمم وتناول الفيتامينات ومكملاتها وعمليات التدليك (Massage) والعلاج بالعطورِ (Aromatherapy)، واستخدام طريقة "باخ" العلاجية[٢]؛ والمعالجة المثلية[٣] (Homoeopathy) العلاج الانعكاسى

٢- هى طرق علاجية قائمة على استخدام المستحضرات الطبية المستخلصة من الزهور لعلاج حالات الاكتئاب والأرق والقلق وغيرها من الاضطرابات المزاجية .
٣- طريقة لعلاج الأمراض تعتمد على تناول جرعات صغيرة من أحد العقاقير الذى إن تم تناوله بكميات كبيرة؛ يحدث أعراضاً عند الأصحاء شبيهة لتلك التى تميز المرض نفسه.

(Reflexology)، والعلاج بتقويم العمود الفقري، والوخز بالإبري[٤] (Acupuncture)؛ والعلاج بالضغط اليدوى Accupressure؛ حيث أَصْبَحَت تلك الأنماط العلاجية أكثر رواجا وشعبيَة بعد أن اجتذبت العديد من المرضى الهاربين من جحيم العقاقير الكيميائية. وبعد ان تَغيَّرَ الوعى الصحى مع بزوغ فجر الألفية الثالثة للميلاد؛ وظهور وسائل إعلام جديدة مثل الشبكة العنكبوتية للمعلومات (الإنترنت) والمحطات الفضائية؛ التى أسهمت فى التعريف بمخاطر الاستخدام غير المُرشّد للعقاقير وأطلعت الناس على أنماط وخيارات جديدة فى العلاج وطرق جديدة للاستشفاء ترتكز على الوسائل الطبيعية وتبتعد ما أمكن عن العقاقير والمركبات الكيميائية المصنعة . كما تكررت دعوات منظمة الصحة العالمية إلى النبش فى التراث الطبى لشعوب العالم؛ أملاً فى العثور على ما يفيد فى التعامل مع ما استعصى على العلم الحديث من أمراض؛ خاصةً فى بلدان الدول الفقيرة حيث تتعذر فرص الحصول على الرعاية الصحية الرسمية لأسباب اقتصادية وثقافية عديدة .

وعلى هذا النحو عادت الحجامة إلى الساحة العلاجية ولكن فى ثوب عصرى جديد يختلف عن الشكل التقليدى الذى ظل مزدهرا على المستوى الشعبى فى البوادى والمناطق الريفية. واليوم تنتشر ممارسة الحجامة بطريقة عصرية فى كثير من البلدان الأوروبية وعدد من الولايات الأمريكية . وباتت الحجامة الحديثة تحتل موقعاً بارزاً بين وسائل الطب البديل (Alternative Therapy) و العلاج الطبيعى

٤- الوخز بالإبر هو طريقة علاجية لتخفيف الشعور بالألم أو إعطاء الجسم الشعور بالتخدير الموضعى عن طريق وخز الجلد فى مواضع معينة بإبر رفيعة جداً تعطى ذلك الاحساس.

(Physiotherap) تعليماً وتطبيقاً بعد أن لفتت التأثيرات العلاجّية للحجامة إنتباهِ الأوساط العلمية والشعبية على حد سواء وغدت محل اهتمام المرضى والأطباء معا وشهدت شعبيتها ثراءً عظيما . ففى ألمانيا،بين عامى ١٩٨٧ و١٩٩٢،جرب حوالى ٣٢ إلى ٦٤ ٪ منْ المرضى المصابين بإلتهاب المفاصل المُزمن (Chronic arthritis) الحجامة كأحد الأساليب العلاجية غيرالمألوفة للمعالجة [٥]

اسم يتردد وعلمٌ يتجدد

بعد سنوات قليلة من الممارسة الحديثة للحجامة مع مطلع الألفية الثالثة؛ أثبت التجربة العملية والممارسة الإكلينيكية تفوق الحجامة فى علاج بعض المشكلات الصحية التى لا تنجح معها أدوات الطب الحديث؛ إذ ليس بوسع أحد إنكار الأثر العلاجى الرائع الذى تقدمه الحجامة فى علاج الصداع والشقيقة . ولا يمكن الاختلاف حول دور الحجامة فى التخلص من التشنجاتِ العضليةِ و قدرتها على تلطيف نوبات الربو الشُعبى وإرتفاع ضغط الدم.

ليس هذا فحسب؛ بل إن الإستخدام العصرى للحجامة والتفكير فى تلك الوسيلة العلاجية بعقلية جديدة؛ أسهم فى ظهور إستخدامات جديدة لفكرة الحجامة . حيث تستخدم كؤوس الهواء اليوم فى مراكز التجميل الغربية كإحدى طرق تنشيط الدورة الدموية فى الجسم وأيضاً كوسيلة للتخلص من الدهون المتجمعة تحت الجلد (السليوليت)

5- ***Miehle W (1995):*** *Chronic polyarthritis--treatment with alternative medicine. How frequent is (self-) therapy with alternative methods?, Fortschr Med. 1995 Mar 10;113(7):81-5.*

والتجاعيد وإنعاش الدورة الدموية فى الجلد لعلاج مشاكل البشرة التجميلية المختلفة . وكثيراً ما تُستخدم الحجامة كبديل فعّال عن الإبر الصينية فى تَحفيز نقاط الإبر الصينية (Acupoints) أثناء جلسات المعالجة بالوخز بالإبر. ونظرا للعدد الهائل من المرضى الذين تمت معالجتهم بكفاءة ومأمونية بالحجامة؛ إما بشكل منفرد أو بالتزامن مع العلاج الدوائى؛ نجحت الحجامة أخيراً فى لفت انتباه بعض كليات الطب الحديثة. فأقرت بعض الجامعات الأوروبية إدخال العلاج بالحجامة ضمن مناهجها الطبية على الرغم من البدايات غير العلمية لعملية الحجامة وارتباطها بالمجهول. وبدأ نحو ٦٠٪ منْ كليّات الطب فى الولايات المتّحدة الأمريكية بتَدريس الحجامة كجزء من المقررات التعليمية فى دورات الطبّ البديل ، وهى دورات تدريبية توفرها بعض الكليات الطبية للخريجين لدعم معرفتهم الطبية بالمزيد من الماراسات المساندة والمتممة للمعلومات الطبية المتعارف عليها .

وفى معظم البلدات والمدن البريطانية يُعلن عن دورات وفصول لتدريس فروع الطب البديل المختلفة ومن بينها الحجامة[6]. كما تُمارس اليوم عملية العلاج بالإستدماء (Blood-letting) فى كليّة الطب بجامعة هارفارد(Harvard Medical School) ومركز جون هوبكنز الطبي(Johns Hopkins Medical Center)،وهما إثنان منْ أرقى المراكز الطبية رفعةً وأكثرها تقديرا على مستوى العالم[7].

6- Eisenberg DM, Davis RB, Ettner SL, Appel S, Wilkey S, Van Rompay M et al (1998): Trends in alternative medicine use in the United States, 1990-97. JAMA; 280:1569-1575.

7- *Skaar E (2004): Why Blood letting may actually worked .Science, Sept. vol 305: pp 1626-1628.*

من جهة أخرى؛ وجدت بعض الدول في هذا النوع من العلاج منخفض التكلفة فرصة لتخفيض نفقاتها العلاجية وميزانيات التأمين الصحى . واعترف الكثير من ممارسى الطب الحديث بالحجامة كأحد أفضل الطرق الطبيعية للتعامل مع بعض الأمراض دون آثار جانبية وبأقل التكاليف الممكنة.

وهكذا؛ على الرغم من التطور المستمر فى وسائل التشخيص والعلاج الطبية و ما يستحدث كل يوم فى مجال العلاج؛ حافظت الحجامة على مكانها فوق خارطة التداوى محتلةً مساحة تزيد وتنقص مع الزمن؛ ولكنها لم تختف يوما . بل إن تلك المساحة تتسع يوما بعد يوم؛ فلم تعد الحجامة مجرد ممارسة بدائية تقتصر على الاستطبابات الشعبية ؛ بعد أن تبنتها عيادات الطب البديل والمراكز العلاجية المبنية على وسائل الطب الحديث. وبعد أن تحولت النظرة إلى الحجامة من « عملية دجل وشعوذة» إلى إحدى المعالجات البديلة الأكثر إحتراماً فى كل من أمريكا وأوروبا،حيث اكتسب تعليم المعالجات البديلة وجهاً ومعنىً جديدين ، وباتت هناك المعاهد المختصة التى تُخرج ممارسى الحجامة المحترفين وإختصاصى الطب البديل فى أوروبا،والولايات المتّحدة،والصين واليابان. وهكذا بُعثت " الحجامة الحديثة " مجدداً من رحم التاريخ؛ بعد عقود من الزمان تعرض فيه هذا النوع من العلاج لظلم كبير وتجنيات،تداخلت فيها شعوذة المشعوذين وسحرهم مع طب الأطباء وعلومهم.

الفصل الثانى

كيف تجرى عملية الحجامة ؟



حدث فى السنوات الأخيرة تقدم ملحوظ فى التقنيات التى يتم بها توظيف الحجامة لتناسب عدد أكبر من الأمراض المعاصرة .

يقدم لك هذا الجزء من الكتاب شرحاً مبسطاً لكل ذلك.

هناك عدّة طرق لتنفيذ عملية الحجامة والحصول على نتائج وقائية وعلاجية مُرضية . وتعتمد الطريقة التى يختارها الطبيب على ما إن كان الغرض من إجراء الحجامة تعزيز المناعة وتنشيط الدورة الدموية وتحسين الصحة العامة؛ أو إن كان الغرض من الحجامة علاج مرض أو التخفيف من عرض معين . حيث تختلف نقاط الحجامة حسب نوع المرض وحالة المريض الصحية وعمره وعوامل أخرى يقيمها الطبيب المعالج .

كما توجد أكثر من طريقة لتطبيق كؤوس الهواء . حيث تَتجاوز أنواع الحجامة أكثر من عشرة أنواع؛ يمثل كل منها طريقة وأسلوب متميز من حيث التأثيروالفاعلية والغرض منه . ويُمْكِنُ أَنْ تُصنَّفَ تلك الأنواع على النحو التالى :

الحجامة الثابتة :

حيث تبقى الكؤوس مثبتة على الجلد إلى فترة زمنية طويلة.



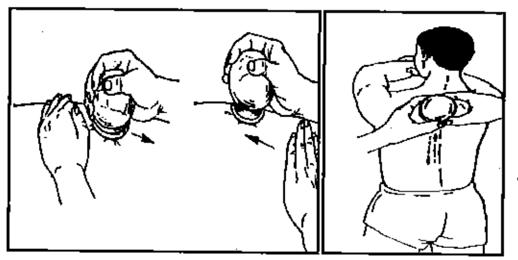
الحجامة الجافة الثابتة

الحجامة السريعة (الوميض) :

فى هذا النوع من الحجامة يثبت الكأس فوق الجلد تثبيتا مؤقتا ؛ حيث تثبت الكؤوس لفترات زمنية قصيرة جدا ثم تنزع بسرعة ويكرر تثبيتها ونزعها أكثر من مرة على نفس الموضع على نحو سريع؛ ولهذا تُعرف هذه الطريقة بالحجامة التى تشبه الوميض (flash cupping).

الحجامة المُنْزَلقة أو المتحركة :

في هذا النوع من الحجامة الجافة يتمّ دهن الموضع بمادة زيتية(١) لتيسيير تحريك الكأس فوق الجلد ،ثم يتم تفريغ الهواء داخل الكأس بشكل جزئى لتوليد قوة سحب ضعيفة نسبيا تسمح بمص الجلد مصا خفيفا بسيطا وفى ذات الوقت تسمح للمعالج بتحريك الكأس وانزلاقه فى إتجاهات معينة حول الموضع المطلوب بحيث يظل الجلد تحت قوة سحب بسيطة ومتحركة ،أى أن الكأس يُحرّكُ بينما يحرص المعالج على الإبقاء على قوة إمتصاصَ الجلد، وهذه التقنية تتسبّب فى إحداث تنشييط موضعى للجلد والعضلة المطلوب علاجها ، وذلك من خلال عملية السَحْب التى تهدف إلى جذب الدم من الأماكن الواسعة كالعضلات وتجميعه فى طبقة الجلد ،لذا تستخدم هذه الطريقة عندما تكون المنطقة المطلوب علاجها واسعة كعضلات الظهر، ولهذه التقنية إرتباط وثيق ببَعْض تقنياتِ التدليك،مثل القرص السريع للجلد على طول الظهر(٢). وقد أثبتت هذه الحجامة فعاليتها فى علاج توتر العضلات.



الحجامة المُنْزَلقة أو المتحركة(٣)

---

١ من أشهر الزيوت المناسبة زيت الزيتون أو زيت النعناع

٢ Jiang L (١٩٩٦): A miraculous spinal pinching therapy, Journal of Traditional Chinese Medicine; ١٦(٣): ٢٢٨-٢٢٩.

٣ مصدر الصورة كتاب : Hua W, Qi W, Gang L: Science of Acupuncture and moxibustion, p:١٤٢-١٤٥, Wuhan university press; ١٩٩٦.

والطبيب المعالج هو الذى يُقرّرَ نوع الحجامة وكيفية ومدة إسْتعْمال الكؤوسِ. على سبيل المثال،إذا كان المريض طفلا مصاباً بالربو الشُعبي،فالطبيب سيختار طريقة « الحجامة السريعة» نظراً لرقة جلد الأطفال ولتجنب إيذاء الطفل بقوة السحب لمدة طويلة فى حالة « الحجامة الثابتة»؛ بل إن الأطفال عادة ما يَجدونَ هذه الطريقة ممتعة جداً؛ حيث أن تكرار تثبيت الكؤوسَ ونزعها سريعا على نحو متكرر يُصدر صوتاً يشبه صوت تفتق حبّ الذّرة على صفيح النار (الفيشار)!!.

أما بالنسبة لحالاتِ الألم المزمن ،على سبيل المثال: آلام المفاصل والكتف المتجمّد ، فإن الطبيب سيفضل اختيار طريقة يكون فيها تثبيت الكؤوس لمدة أطول مَع قوة سحب أكبر.

الحجامة الرطبة (الحجامة مع الإدماء) Bloodletting Cupping:

الحجامة الدامية (٤)هى تقنيةُ أخرى تَتضمّنُ عملية الإدماء إضافة إلى الحجامة الجافة . حيث يتم وضع الكأس مفرغا من الهواء لفترة مناسبة فوق الجلد تسمح بتوليد احتقان دموى تحت سطح الجلد ، وحتى هذه المرحلة لا تختلف الحجامة الرطبة عن الجافة ، ولكن بعد ذلك يتم تعقيم سطح الجلد بالمطهرات الطبية ،ثم إحداث وخزات (ثقوب) أو خدوش على سطح الجلد ثم يوضع الكأس من جديد فوق الجلد المثقوب أو المَخْدُوش ويتم تفريغه من الهواء لسحب الدم عن طريق المص ،وهكذا يندفع الدم إلى سطح الجلد ،بسبب التفريغ الذى أحدثه المص . ويتم تكرار تلك العملية ،حتى يلاحظ انقطاع الدم.

٤- تُعرف أيضاً بالحجامة الرطبة للتمييز بينها وبين الحجامة الجافة.

وتستخدم هذه الطريقة فى الحالات التى تكون الحجامة مناسبة لعلاجها و التى ترافقها علامات الإحتقان الدموى أو الركود الدموى (stasis blood) والحالات التى يبدو فيها أن من المفيد طرح كمية من الدم خارج الجسم . وقد استخدمت هذه الطريقة منذ القدم لسحب السموم من لسعات الحيات وغيرها من الإصابات الجلدية.



الحجامة الرطبة Wet Cupping (الحجامة مع الإدماء)

الحجامة مع العلاج المائى (الحجامة المائية) (Water Cupping) :

تَتطلّبُ المعالجة بالحجامة المائية معالجا متمرساً ومجرّباً . فى هذه الطريقةِ يقوم المعالج بملء ثلث كأسٍ من الخيزرانِ أو الزجاج بالماءِ الدافئِ ،ثم يُواصلُ عمليةَ تثبيت الكأس بالطريقة التقليدية ولكن بسرعة فائقة حتى لا ينسكب الماء خارج الكأس. قد يصعب تصور ذلك؛ ولكن عندما تؤدّى الخطوات بخفة وسرعة ،لا يَحْدثُ إنسكابَ للماء. إذا تم التطبيقِ بشكل صحيح ولكن ببطء، فإن إنسكاب بَعْض الماءِ يكون حتمياً بلا شك. وهذه الطريقة مفيدةُ للتخلص من السعالِ الجاف،ونوبات الربو الشعبي،كما أنها مفيدة للتخفيف من حدة الآلام الروماتيزمية،والمفاصل المتورمة والألم بشكل عام.

الفصل الثالث

من يقوم بعملية الحجامة ؟



يهدف هذا الفصل إلى مساعدتك فى التعرف على ممارس الحجامة المحتال، ومن ثم يمكنك تحديد ما إن كنت بحاجة إلى زيارة طبيب حقيقى

أو الاتصال بسيارة الاسعاف أو حتى الشُرطة !

على الرغم من سهولة عملية الحجامة ومأمونيتها؛ إلا أن عملية الحجامة الرطبة تحديداً يجب أن تضبط من قبل جهات صحية مسئولة وأن يكون من يقوم بها طبيباً متخرجاً من كلية الطب ودرس علوم الطب الحديث ويحمل ترخيصاً من قبل السلطات الصحية بمزاولة مهنة الطب. ومن حيث المكان الذى تمارس فيه الحجامة ينبغى أيضاً ان يكون مكاناً طبياً يضمن تنفيذها بأيدٍ ووسائل معقمة تحمى المريض من إحتمال انتقال العدوى بالأمراض الخطيرة التى تنتقل عن طريق الدم الملوث كالإيدز وفيروس الكبد الوبائي.

وحيث إن التشخيص يسبق العلاج ولابد؛ فالمسألة لا تقتصر على وصف خريطة لنقاط معينة وتطبيق الحجامة عليها؛فحكمة الطبيب لا تتوقف على معرفته بقائمة من أسماء الأمراض والعلل وقائمة أطول من الخرائط والرسوم التوضيحية لتطبيق الحجامة لكل مرض؛ بل على مقدرته على الوصول بأقصر طريق وبأسرع وقت إلى سبب العلة وتشخيص الداء؛ ثم تحديد نوع العلاج المناسب وما إن كانت الحجامة ستفيد أو تضيف المزيد من النفع لخطة علاج هذا المرض؛ والإطمئنان إلى سلامة ومأمونية الحجامة بالنظر للحالة الصحية العامة للمريض وعمره؛ ومعرفة متى يتوجب وقف تعاطى هذا الدواء والإستمرار فى دواء آخر؛ خاصة إذا كان يتناول أكثر من عقار معاً .

الأطباء الهُواة صنيعة الإعلام الجاهل .

أحد أكبر المشاكل التى تعرقل قبول الحجامة فى الأوساط الطبية المحترمة هو العشوائية وعدم تأهيل كثير من المعالجين بـ « الحجامة»؛

فمعظم المعالجين بالحجامة هم فى الحقيقة ممارسون متطفلون على مهنة الطب وليسوا أطباء،ولكنهم عادة يقدمون أنفسهم للمرضى كأطباء ويصنفون الأمراض تصنيفا ساذجا ثم يوزعون على كل مرض خريطة من النقاط العبثية الشاذة التى لا تستند إلى أى برهان علمى .

و لا بد من التمييز بين الأطباء والأفراد من غير الأطباء المنتمين لبعض المهن الحرفية المتعلقة بالطب والتى يُعرف ممارسوها فى التراث العربى بـ «المتطببين» ولم يكن أحد يعتبرهم أطباء،فقد وجدت من خلال تجربتى وما قيل لى - بواسطة المرضى خروج هولاء «المُتطببين» على كثير من أبسط أصول التطبيب حتى الشعبى منها.

والمتطببون هم فريق من «الأطباء الهواة» هم فى الأساس من أصحاب الحرف الطبية كالمجبرين والحجامين الشعبيين. وأقرب مثال لشخصية المتطبب هو « حلاق الصحة» الذى كان إلى وقت ليس بالبعيد يمارس خلع الأسنان وحقن الأدوية ويتصدى لكافة أنواع المشكلات الصحية فى القرية؛ أما إن استفحلت المشكلة واستعصت على الحل فكان على المريض أن يسافر إلى « البيمارستان» أى المستشفى فى أقرب مركز أو مدينة .

ولكن نظراً لإنتشار وسائل الإعلام فى العصر الحديث فقد انتفع المتطبب أو « الطبيب الهاوي» بتلك التقنيات الحديثة ولم يعد عليه أن يقبع فى حانوت الحلاقة ويدع المُعضلات الطبية لمن هم أهل للتصدى لها؛ بل ودخل فى ممارسة الطب فئات لا تمت للممارسة الطبية بصلة. وتصدرت شخصية «المتطبب» شاشات القنوات الفضائية والصحف والكتب وصفحات الفيس بوك ومواقع الانترنت والأقراص المدمجة؛

وكان لابد مع كل هذا الزخم والضخ الإعلامى أن تنسى الناس أنه مجرد طبيب هاوٍ وليس طبيبا حقيقيا؛ وبات طبيعيا جدا أن تنهال عليه الأسئلة والإستشارات الطبية التى حيرت جهابذة الأطباء وأن تجد مُستقرها وحلولها كثمار طازجة تسقط بسلاسة ومن تلقاء نفسها تحت قدميه وبكل بساطه!

إعطنى إعلاميين بلا ضمـــير..... أعطيك شعبا بلا وعى !

جوزيف جوبلز
(وزير إعلام هتلر)

ولا تزال أعداد المحتالين والمحتالات الذين يمارسون جرائم الاحتيال الطبى الفجة فى تزايد مستمر؛ ومازالوا يطلون علينا من شاشات التليفزيون وصفحات الجرائد بكل وقاحة . بعض هؤلاء المحتالين حاصلون على « شهادات التلفزيون» العلمية وبعضهم مجازون من «الصحافة الصفراء» أو «الفضائيات البلهاء «.. أمواج من النصب والاحتيال لم تكف عن صفع الممارسة الطبية باسم « الحجامة» .. مستترةً تحت مسمى « الطب النبوى تارةً» و « الطب البديل » تارةً أخرى.. على الرغم من أن كليهما اسم غيرصحيح؛ وما هى إلا أسماء ما أنزل الله بها من سلطان ..

فهناك تجاوز كبير فى استخدام مصطلح «الطب النبوي»؛ فكل الأحاديث النبوية التى اشتملت على مضامين طبية؛ لا يمكن أن تشكل فى مجموعها أصولاً لـ «مدرسة طبية متكاملة» لها فلسفتها ونظرتها الخاصة لطبيعة جسم الانسان وكيفية وأسباب إصابته بالأمراض؛ بحيث يمكن

إطلاق اسم محدد لها يميزها عن غيرها؛ فالاشارات الطبية الواردة فى الهدى النبوى ليست علما مستقلا بذاته ، إذ لا تشكل فى مجموعها منهجاً مميزاً فى التشخيص أو العلاج؛ ولا ترتكز على رؤية معينة لطبيعة جسم الإنسان. كما هو الحال مثلاً بالنسبة لمدرسة الطب الصينى أو الهندى؛ حيث تمتلك كل منهما فلسفة خاصة للعلاج والتشخيص تجعل من كل منهما منظومة طبية مستقلة قائمة بذاتها. فما ورد فى الهدى النبوى بخصوص الصحة والطب لا يمثل طبا متكاملا يقوم على أساس بعينه أو فلسفة تميزه..أو رؤية خاصة لجسم الإنسان وطبيعة الأمراض ، ومن قبل عنون المحدثون فى تصانيفهم مجموعة الأحاديث النبوية المتعلقة بالطب بـ «كتاب الطب» . وذلك تمييزا لأبحاثها ، ولم يقصدوا أن الطب النبوى طب متكامل يضم كل فروعه وأنه يقابل الطب اليونانى أو الهندى أو الفارسي، وإن كانت المفاهيم الصحية أو الطب الوقائى فى الإسلام يتميز فعلا عما سبقه أو أتى بعده(١) .

وكم كان العلامة الفقيه (ابن القيم) حكيماً حين أطلق على الجزء المتعلق بتوصيات النبى فى الطب من كتابه زاد المعاد اسم : « هديّه صلى الله عليه وسلم فى الطب» .. ولم يطلق عليه اسم «الطب النبوى» .. فالكتاب الشهير المنسوب لابن القيم كان اقتباساً لذلك الفصل من ذلك الكتاب؛ تم فصله وطباعته ككتاب مستقل؛ لكن الدلائل تشير إلى أن ابن القيم لم يؤلف كتاباً مستقلاً بهذا الاسم . وهذا يدل على فهم صحيح لرسالة النبى الأعظم صلى الله عليه وسلم؛ فلم يبعثه الله تعالى طبيباً يعالج الأمراض ولو شاء لجعله كذلك؛ لكنه بعثه هادياً ومبشراً ونذيراً وكل ما قاله فى مجال الطب والتداوى يمثل إشارات وتوجيهات تستحق

١- محمود النسيمى : الطب النبوى والعلم الحديث- ج ٣/٩٤-٩٦ . -مؤسسة الرسالة١٩٩٦

الاهتمام والبحث ولكنها لا تمثل فى مجموعها منظومة علاجية مستقلة؛ والملاحظ أن معظم ما ورد فى الهدى النبوى من اشارات طبية يصنف ضمن الطب الوقائى وطب حفظ الصحة أكثر من الطب العلاجى .

يكفى أن تغلف أى فكرة بصبغة دينية حتى تُقنع العرب باتباعك!
العلامة محمد أركون
مفكر إسلامى جزائري
(١٩٢٨-٢٠١٠م)

أما مسمى « الطب البديل» فقد أطلق على استحياء فى وقت مبكر على نوع من الممارسات الطبية التقليدية التى انبعثت من منظومات طبية قديمة،كالطب الصينى التقليدى ،وطب الأوروفيدا الهندى ،والطب العربى الذى لا يزال يمارس فى الهند وباكستان تحت مسمى «يونانى نزامي»،إضافة لتقنيات حديثة فى العلاج النفس جسدى ،إلا أن ما يقدمه الإعلام لم يكن ينتمى إلى أى من هذه المنظومات التى لها كليات طب يدرس فيها المتخرج لسبع سنوات كاملة أحياناً،وفق منطق طبى محكم وخاص بكل منظومة ،وقد اطلعتُ على المقررات الدراسية لأكثر من كلية من هذه الكليات فى الهند والصين ووجدت أن لها مناهج معقدة جدا لاستيعاب هذه المنظومات الطبية العريقة العتيقة ،التى لم تتجمد بل يتواصل تحديثها ،ومع ذلك لم تدع تلك الكليات أنها منظومة بديلة عن الطب الحديث الذى يدرسه ويمارسه الأطباء فى كل أنحاء الدنيا ،فهى تدرس ضمن المناهج الطبية التى يدرسها طالب الطب فى الغرب والشرق .

وقد انتبه المهتمون الحقيقيون بالطب «البديل»،وهم أطباء درسوا

الطب الحديث،انتبهوا إلى خطورة المعنى الكامن فى تسمية الطب البديل، والمضامين المضللة التى يحملها ذلك الاسم الملغوم؛ فأزاحوا هذه التسمية فى مؤتمراتهم العلمية لتحل بمكانها تسميات من قبيل «الطب المكمل» أو «الطب المتمم» (Complementary Medicine)؛ تأكيدا منهم لحقيقة أن الدور الأساسى للطب الحديث لا يمكن ،ولا ينبغي،استبداله ،مهما اتسعت المساحة التى يمكن لهذا الطب البديل «المتمم»أو «المكمل» أن يشغلها،ومهما بلغت قيمة الخدمات الصحية التى يمكن أن يؤديها.

ولن تتوقف تلك الصفعات والأمواج من جرائم الاحتيال الطبى الفجة؛ طالما أن الإعلام صار بديلاً عن الجامعات والمراكز العلمية ومؤسسات البحث العلمى يمنح براءات اختراع الأجهزة الطبية لكل من شاء ،ويروج لحفنة من المعالجين الكذبة ،وهى ظاهرة إجرامية صنعتها شهوة بعض أجهزة الإعلام اللا أخلاقية للجرى وراء الإثارة والغرابة.

انتبـــــه

سذاجة بعض ممارسى الحجامة قد تدفعهم إلى استخدام الحجامة بشكلٍ مسرف ارتكازاً على النصوص والمعتقدات الدينية؛ كما قد يتخذها البعض وسيلة للدجل والاحتيال والمتاجرة بالمرضى . وهى جميعاً أسباب وجيهة لرفض الجهات الصحية الرسمية الاعتراف بممارسة الحجامة . لكن كل ذلك أيضاً؛ لا ينبغى أن يجعل الحجامة عرضة للهجوم والإقلال من شأنها و لا يجب أن يدفع باتجاه تجريمها كممارسة علاجية؛ والتشهير بها كأداة بيد الدجالين والدراويش؛ فالجريمة تبقى عار مرتكبها لا ضحيتها .

ومنذ وقت مبكرذكر الفقيه المُحتسب «الشيرازي» (المُتوفى سنة ٥٨٩ هجرية / ١١٩٣م) سمات الطبيب الحقيقى فى كتابه (نهاية الرتبة فى طلب الحسبة) : « الطب علم نظرى وعملى أباحت الشريعة علمه وعمله لما فيه من حفظ الصحة ودفع العلة والأمراض عن هذه البنية الشريفة. والطبيب هو العارف بتركيب البدن ومزاج الأعضاء والأمراض الحادثة فيها وأسبابها وأعراضها وعلاماتها والأدوية النافعة فيها والإعتياض عما لم يوجد منهاوالوجه فى إستخراجها وطريق مداواتها ليساوى بين الأمراض والأدوية فى كمياتها ويخالف بينها وبين كيفياتها؛ فمن لم يكن كذلك فلا يحل له مداواة المرضى ولا يجوز له الإقدام على علاج يخاطر فيه ولا يتعرض إلى مالم يحكم علمه من جميع ما ذكرناه».

وقد ورد هذا التحذير فى الهدى النبوى الشريف أيضا ففى رواية لأبى نعيم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« من تطبب ولم يكن بالطب معروفا،فأصاب نفسا فما دونها فهو ضامن». وفى رواية أخرى عن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز قال :«حدثنى بعض الوفد الذين قدموا على أبى قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) :« أيما طبيب تطبب على قوم لا يعرف له تطبب قبل ذلك فأعنت فهو ضامن»(٢)؛.أى إن وقعت أخطاء ممن يتصدى لعلاج الناس؛ ولم يعرف عنه دراسة للعلوم الطبية وممارسة للعلاج الطبى فهو ضامن لكل الأخطاء الناتجة من أفعاله،وعليه تعويض المرضى مما قد يحدث لهم جراء فعله وإن حسنت نيته. يُفسر الفقيه الجليل ابن القيم سبب ذلك بقوله : « فقد هجم بجهله على إتلاف الأنفس ، وأقدم بالتهور على ما

٢- أبو داود

لم يعلمه، فيكون قد غرر بالعليل، فيلزمه الضمان لذلك ، وهذا إجماع من أهل العلم»(٣). ولهذا؛ لا يجب أن يقدم حجّام على عمل حجامة لمريض لا يعرف عن مرضه شيئاً، أما غير ذلك ففيه تجن على المرض والمريض والمجتمع ككل،والسكوت لمن يعرف حقيقته ذنب يؤاخذ صاحبه و سيحاسبه الله عليه.

فـــاصل من الدجــل !!

خــرافة : الحجام الذى لا يأخذ أجراً؛ يقصد الخير و يمكن الوثوق إلى كفاءته ومعرفته .

حقيقــة : المسافة بين المعرفة وادعائها «شعــرة»،تكفى لجر المصائب،حتى إن كان ادعاء المعرفة بقصد فعل الخير للآخرين.

احذر الحجامة إذا كنت أحد هؤلاء

إذا كنت ترغب فى إجراء الحجامة سواء للعلاج أو لتعزيز مناعة جسمك وتنشيط دورتك الدموية؛ عليك أن تعرف جيداً الحالات التى لا يجب معها الخضوع للحجامة . فالحجامة كأى دواء او وسيلة من وسائل العلاج الطبيعى؛ لها عدد من المحاذير وموانع الإستعمال؛ وهى على النحو التالى :

لا يَجبُ أَنْ تُثبت كؤوس الحجامة على مناطق الجلد الملتهبة أو فوق القُرَح الجلدية مباشرة؛ وفوق الجروح الجلدية المفتوحة؛ كما يُنصح بتفادى الحجامة أيضاً للمرضى المُسنين والأطفال نظراً لرقة الجلد فى

٣- زاد المعاد :٣٧٠

هذه الفئات العُمرية.

يُمنع تماماً إجراء عملية الحجامة للمرأة الحامل؛ وبشكل خاص على منطقة البطن وأسفل الظهر.

يُحظر إجراء الحجامة (المُدماة بشكل خاص) لأصحاب الضغط المنخفض وأيضاً للفتيات والسيدات أثناء فترة الحيض.

يُنصح بعدم إجراء الحجامة فوق المواضع التى تتفرع تحتها أوعية دموية كبيرة وظاهرة.

لَيسَ من المناسبَ إجراء عملية الحجامة للمرضى المُعرضين للنزف التلقائي أو النزف اللانهائي بعد الجروح .

يُمنع للمصابين بأمراضِ القلب الذين يستخدمون منظم ضربات القلب.

الحجامة الرطبة تناسب البالغين و لَيسَ من المناسبَ إجراء هذا النوع من الحجامة للأطفال وكبار السن.

تذكـــــر

إذا كنت مريضاً؛ ورغبت فى استعمال الحجامة - أو أى وسيلة غيرها - لمساعدة نفسك للتماثل للشفاء؛ فيجب أن تُطلع طبيبك المعالج على ذلك لكى تزيد من فاعلية أى علاج يصفه لك وفى ذات الوقت تتجنب أى آثار جانبية محتملة.

دجـل باسم السنة الشريفة

إذا كان كثير من الناس يتحولون اليوم من العلاج الدوائى إلى الطب البديل ويرون فيه ملاذاً يحقق الشفاء الآمن بوسائل طبيعية خالية من الآثار الجانبية المزعجة؛ فإن من الناس أيضا من يتحول إلى ما يُعرف بـ « الطب النبوي» ،وهم لا يرون فيه مجرد طريقة للحصول على الشفاء.. بل يرون فيه سبيلا للفوز بمحبة الله وفرصة لمغفرة الذنوب، وهكذا يصبح للتداوى مبررات أخرى أعظم من الشفاء ذاته، ونحن لا ننكر أن المؤمنين بالطب النبوى والحجامة جزء منه ،قد يجدون راحة نفسية تساعدهم على تجاوز محنة المرض وتدعمهم نفسيا ،كما لا ننكر مطلقا القيمة العلمية لعلاج عتيق شهد له الزمن مثل الحجامة.. ولكن ليس على هذا النحو المشين، الذى يستغل حماس المسلمين الدينى ويدغدغ عواطفهم تجاه النبى (ﷺ) بطريقة بشعة ورخيصة باسم الدين .. وليس بهذا التطبيق المبالغ بحجة إحياء السنة الغائبة.. فقد ظهرت مؤخرا دكاكين.. وشقق.... و أخيرا..عيادات «بلا أطباء» يصل قيمة الكشف فيها لأرقام لا يحلم بها الأطباء الحقيقيون الذين قضوا جل حياتهم فى الدراسة والأبحاث الطبية .. !!! جرأة غريبة؛ لا أظنها فقط جرأة الجاهل ومع ذلك لا تزال اعداد غفيرة من المريدين يقصدون أبواب تلك العيادات « غير الطبية»؛ وظل كتاب أحد أصحاب تلك العيادات المزيفة يتصدر قائمة أعلى كتب الحجامة توزيعاً لفترة طويلة !!

إن نجـــاح فكرة لا يعنى دائما صوابها .. فقد تنتشر الأفكـار الخاطئة لمجرد أنها تلقى ترحيبا من غرائز الناس وأهوائهم .

د. مصطفى محمود

من كتاب « لماذا رفضت الماركسية»

تُعلن لوحات تلك العيادات المزيفة عن قائمة من الادعاءات التى لا تنتهى عن فاعلية الحجامة وقدرتها على التعاطى مع كل الأمراض خاصة المستعصية منها ... وهم يعمدون إلى تلفيق قصص عن الشفاء السحرى بالحجامة؛ ويسردونها فى شكل حكايات مثيرة أقرب إلى المعجزات،لو صح النزر اليسير منها ،لأصبحنا حديث العالم فى مكافحة الأمراض القاتلة والفتاكة ولبات الوطن العربى قبلة للمرضى والموجوعين من أنحاء العالم .. وما يدمى القلب؛ كل ذلك استنادا إلى الأحاديث والتوصيات النبوية المتعلقة بالحجامة .. فقد استخدمت الحجامة كأيقونة طريفة للاستهبال ... الروحى هذه المرة !!

وكأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يُبعث هادياً وبشيراً؛ وإنما بُعث -حاشا لله - حجاماً أو عشابا؛ وكأنه لم يأمر الناس بالتداوى ،وإنما أمرهم بالحجامة فحسب! ولا أحد يُنكر أن الحجامة كانت علاجا رائجا على عهد الرسول عليه الصلاة والسلام ،وأنه حثّ عليها وأوصى بها؛ ولكنه صلى الله عليه وسلم لم يدلنا على العلاج بالحجامة فحسب ،وإنما أمرنا بالتداوى وأطلق مفهوم التداوى ولم يقيده بنوع معين من العلاج ، يقول عليه الصلاة والسلام : « تداووا ،عباد الله؛ فإن الله -سبحانه- لم يضع داء إلا وضع معه شفاء إلاّ الهرم»(٤). وصحيح أيضاً أنه -صلى الله عليه وسلم- قال : (إن أمثل ما تداويتم به الحجامة) . ولكن صحيح أيضاً قول العلماء : إن قوله -صلى الله عليه وسلم- هذا خطاب لأهل الحجاز ،وأمثالهم من أهل البلاد الحارة؛ لأن أهل البلاد الحارة تناسبهم الحجامة ،وهذا دليل على أنها نوع من العلاج قد ينتفع به شخص ،ولا ينتفع به آخر،بل قد تكون ضررا عليه .فهى وسيلة للعلاج ،وليست عبادة

٤- رواه الأربعة واللفظ لابن ماجه

مشروعة ،وقد يترتب عليها ضرر عندما يتعاطاها من ليس أهلا لها (٥) . فمن أين يطلع علينا أولئك الذين هم لا علماء بالدين ولا بالطب بكل تلك الخرافات المقدسة والدعايات السخيفة ؟!.

وهؤلاء الدجالون يتشبثون ببعض النصوص التى تم ليّها وتطويعها لتخدم مصالحهم ،سواء كانت تلك المصلحة نفسية؛ تتمثل فى الرغبة فى ممارسة دور الطبيب؛ أو اكتساب الأجر والمثوبة بتقديم خدمة الحجامة مجاناً؛ وقد يلجأون إلى تلك النصوص الدينية كأحد أسهل الطرق للكسب السريع ،وهو دغدغة العواطف الدينية والرغبة فى التقرب لرضا الله تعالى مع استغلال الظروف المرضية التى تدفع المريض للتشبث بأى امل فى العلاج . وهكذا ببساطة يتم تعطيل العقل البشرى بمهارة يحسد عليها الدجالون الذين يقومون بتدشين كل تلك الأكاذيب.

فاصل من الدجل !

خرافة : أمارس الحجامة رغم أنى لست طبيباً إحياءً لسُنّة نبوية ميتة!! .

حقيقة : بعض الجُهال يريدون أن يصنعوا لأنفسهم مجداً على أكتاف رسول الله (ﷺ)!!

لقد ابتلعنا الكثير من الضلالات والخرافات المُغلفة بقصص تبدو منطقية فى ظاهرها .. أود فقط لو ذكر لى أحد هؤلاء الغيارى على السنة النبوية نصا واحدا يفيد بأن الصحابة رضوان الله عليهم افتتحوا دكاكين للعلاج بالأدوية التى ذكرها النبى (ﷺ) أو عيادات لإجراء الحجامة طلباً للأجر والمثوبة ؟ أم أن الصحابة على قرب عهدهم بالنبى

٥- نُشرت الفتوى فى موقع إسلام أون لاين بتاريخ ٣ - ٨- ١٤٢٤ هجرية.

(ﷺ) والتصاقهم بحياته اليومية لم يفهموا كيف يطبقون السنة بينما تكفل بذلك هؤلاء المتاجرون باسم الدين؟

لقد توجه النبى بنفسه للطبيب الذى أجرى له الحجامة ولم يمارسها عليه الصلاة السلام بيده ولم يحاول تعلمها أو معالجة أهل بيته على الأقل بها.. اما ما يفعله هؤلاء الدجالون فهو امر محدث لم يعرفه السلف فى عصر صدر الإسلام ..وجاءنا به الخلف فى عصور الانحطاط الثقافى والسياسى والإقتصادى كنتيجة طبيعية وإفراز طبيعى لعقول ملأها الصدأ والجهل والتدنى المعرفى وقبل كل ذلك الرغبة فى الكسب السريع.

الإسلام اعلى قدراً وأجل من أن يعطى هؤلاء الدجالين مسوغا لتجارتهم .. والحقيقة أنهم استغلوا المقولة الماركسية الشهيرة « الدين أفيون الشعوب» واستفادوا من الجهل الرابض على عقول شعوبنا، ولم يفهموا الآيات العظيمة التى تدعو للعلم عبر البحث والتجريب والمشاهدة،- قال الله تعالى: (قل انظروا ماذا فى السماوات والأرض).، وتلك الآية التى توسد كل أمر لأهله « فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) . ولم يلتفتوا - وربما أغفلوا متعمدين - تأكيد النبى (ﷺ) على أن تحصيل العلم بالطب وممارسة التطبيب شرط فى التعرض لعلاج الناس بأية وسيلة علاجية،وحذر من ممارسة مهنة الطب للجاهلين به لأن فى ذلك أذى للناس وتلفا للأنفس.

فاصل من الدجل !

× خـرافة : أمارس الحجامة وأعالج بها المرضى؛ رغم أنى لست طبيباً إحياءً لسُنَة ميتة .

× حقيقـة : لم يُمارس أحد الصحابة الأجلاء هذا النوع من المعالجة بحُجة إحياء سُنَة ميتة؛ وهم الأحرص والأكثر فهماً لمعنى السّنة والأشد غيرةً على إحيائها .

وستظل مجتمعاتنا فى جهل مطبق ما دام هؤلاء الدجالون يعبثون فى المجتمع باسم السنة – والسنة منهم براء- بدءا بعيادات الدجل التى يطلقون عليها العلاج بالقرآن – والقرآن منهم بريء- مرورا باستشارات تفسير الأحلام ، وانتهاء بالحجامة التى رأوها فرصة مناسبة تقذف بهم بين صفوف الأطباء فى غمضة عين !!

وستبقى أمتنا فى سباتها العميق ما لم ينهض الواعون فيها بحملات توعية وتثقيف شاملة لكل فيه التباس للطب بالدين، فلطالما استغل الطب باسم الدين على مر العصور، ولا يليق بنا أن نراقب فى صمت تلطيخ سمعة الهدى النبوى وفتح الباب على مصراعيه للمعارضين والجاحدين لها الذين يتخذون من الشذوذ قاعدة ينطلقون منها للطعن فى الدين مستندين إلى أفعال شائنة لحفنة من الجهال المنتسبين لهذا الدين العظيم.

وكان الأجدر بنا أن نقبل على تلك الثروة من الأحاديث التى تضمنت مضامين طبية بالدراسة المتأنية والمعمقة لاستنباط ما ينفع الناس بحق، وأن نتجه للاهتمام بالحجامة كوسيلة وقائية وعلاجية ومعرفة أسرارها بدل الدجل الذى يقدم باسم الإسلام يوميا.. ولنسأل أنفسنا ..

ماهو نوع « الطب الديني» الذى يستعين به الإنسان اليابانى أو الأمريكى ليقدم لنا تقنيات الطب المذهلة و أحدث تكنولوجيا الطب المعاصر، التى نأمل ألا نظل عالة عليها أبد الدهر!!

كيف تتعرف على ممارس الحجّامة المحتـال؟



قال لى ذلك «المحتال» عقب أن سألته عن مؤهلاته وعن التصريح الرسمى الذى يمنحه حق مزاولة مهنة الطب؛ فأجاب بعذر أقبح من ذنبه : « وما جدوى الشهادات ؟؟ .. حتى إن كنت طبيباً فإن مؤسسات الصحة الرسمية فى بلادنا لا تعترف بالحجامة » .. مؤكداً امتلاكه خبرة فى فنون الحجامة لا تستدعى حصوله على مؤهل يؤهله للقيام بها.

خضت معه فى حديث طويل عن مفهومه عن الحجامة واستخداماتها والفوائد والمخاطر التى قد تترتب على إجرائها ،فحدثنى بكل ثقة عن جدوى الحجامة وفوائدها الإستثنائية ،وما تؤدى إليه من راحة لجسم الإنسان بشكل عام والمناعة بشكل خاص ،وكيف تعود عليه بالنفع دون أية آثار جانبية تنتج ع ما أسماه « سموم» العقاقير التى يقدمها الطب الحديث ،ذاكراً أدلة من التراث الدينى تارةً ومن الطب الصينى والهندى تارات أخرى.

كان ذلك نموذجاً شائعاً لكثير من المحادثات التى أجريتها مع كثير من

الحجامين والاطباء المزيفين الذين التقيت بهم ويزعمون انهم متخصصون فى « الطب البديل» . ولذلك الرصيد من الخبرة بالدجل والدجالين حكاية طريفة . فقد حدث أن اضطررت لأخذ « دبلوم اختصاص مكثف» فى العلاج بالطب البديل ،عندما اخترت كتابة رسالة فى السنة الثانية من تخصصى فى الميكروبيولوجيا الطبية والمناعة ،عن علاج الروماتويد بالحجامة ،ولقد درست لهذه الدبلومة فى وحدة « الابر الصينية » بقسم طب التخدير فى كلية الطب - جامعة الزقازيق ،وهى وحدة حديثة كانت ترأسها البروفيسورة «سامية مسعود» ويشرف عليها الدكتور « ياسر النجار» الذى كان عضو الجمعية الأوربية للعلاج بالابر الصينية (أذكر هذا لأوضح الاحتواء العلمى المتقدم لطرائق الطب التقليدي).

وفى هذا الإطار كان علىّ - بعد أن هجرت الممارسة الطبية الإكلينيكية مؤقتاً لأتفرغ لبحثى - أن أطوف طوافا واسعا بمجمل ميادين ما يسمى «الطب البديل». و اطلعت على كثير من أنماط ووسائل الطب البديل مثل، التدليك (Massage) والعلاج بالعطورِ (Aromatherapy)، واستخدام طريقة « باخ» العلاجية؛ والمعالجة المثلية(٦) (Homoeopathy) العلاج الإنعكاسى (Reflexology)،والعلاج بتقويم العمود الفقري،والوخز بالإبر (Acupuncture)؛ والعلاج بالضغط اليدوى (Accupressure) وجلسات العلاج التخيلى والتأمل والاسترخاء واليوجا وغيرها كثير. فقد شهدت الألفية الثانية تطوراً كبيراً فى مجال استخدام العلاج الدوائى جنباً إلى جنب مع وسائل الطب البديل.

٦- طريقة لعلاج الأمراض تعتمد على تناول جرعات صغيرة من أحد العقاقير الذى إن تم تناوله بكميات كبيرة؛ يحدث أعراضاً عند الأصحاء شبيهة لتلك التى تميز المرض نفسه.

وعندما أتيح لى أن أعمل كمستشار لقسم « استشارات الطب البديل فى قسم العلوم والصحة بموقع « إسلام أون لاين» كان طوافى السابق الواسع بهذا الحقل الطبى المختلف ييسر لى ذلك. ومن خلال إجابتى على أسئلة القراء؛ تعرفت على عدد رهيب من قصص الاحتيال والنصب باسم الحجامة؛ وفى تلك الأثناء وصلتنى رسائل كثيرة من متصفحى الموقع ،وكان بينها رسالة من والد طفل من اليمن مصاب بالشلل الدماغى؛ كتب يقول لى لقد وصلت إلى القاهرة كما طلبتِ منى وأرغب فى الوصول لعنوان العيادة حتى تجرى لطفلى عملية الحجامة كما اتفقنا .. ! وكنت قد أجبتُ هذا الأب المكلوم بأن الحجامة ليست علاجاً نافعاً لحالة ابنه؛ ولكن أحد المحتالين من ممارسى الحجامة كان قد اخترق بريدى الالكترونى واستغل اسمى فى استدراج المرضى من الشرق والغرب بعيادته المزيفة بوصفه أحد تلاميذى ويعمل فى عيادتى بالنيابة حتى أعود من أحد المؤتمرات الطبية ..!!

ومن هذه القصة المفجعة وغيرها كثير؛ اكتسبت خبرة كافية لبلورة مواصفات ممارس الحجامة المحتال؛ وقمتُ بتسجيل قائمة ضمنّتها بعض العلامات التى تُشير إلى أن المعالج بالحجامة الذى قصدته ليس إلا مُدع أو مُحتال؛ فمعرفة هذه الادعاءات غير الصحيحة والتى تعد لوناً من ألوان الشعوذة الطبية (quackery medical) تساعد على كشف حقيقة مدعى الطبابة هاوى الحجامة؛ فهو يكون محتالا و مشعوذا إذا توفرت فيه واحداً أو أكثر من هذه الملاحظات:

- إذا ادعى بأن الحجامة التى سيفعلها لك تضمن معالجة كل الأمراض والعلل.
- إذا وعدك بشفاء عاجل ومدهش لعلتك.
- إذا انطلق بسرد وقائع أو حكايات أشبه بالمعجزات تشهد بفاعلية الحجامة .
- إذا وجدت عيادته مليئة بالشهادات والدبلومات والاجازات أو الجوائز الصادرة من مؤسسات غامضة لم تسمع بها من قبل وما أنزل الله بها من سلطان.
- إذا بادر إلى فحص علتك واستجوابك بأساليب غير معتادة بين الأطباء وفى المستشفيات.
- إذا قال لك أن الحجامة وسيلة علاج بمثابة معجزة؛ تآمرت على كبتها أو محاربتها المؤسسات الطبية أو الصيدلانية العالمية التى تريد أن تحافظ على أرباحها، واستغلالها للجمهور.
- إذا وجدت أنه يسوّق للعلاج بالحجامة عبر الإعلان فى المجلات، والجرائد والبريد بدلا من افتتاح عيادة طبية رسمية تحمل ترخيصاً قانونياً .
- إذا طالبك بأجر باهظ عن معالجته أو عن أى مواد غذائية أو عشبية ينصح بها (عسل – حبة البركة - ألبان أو أبوال الإبل). ولكن تذكر أن كثيراً من ممارسى الحجامة ليسوا دجالين ولكنهم جُهال حسنو النية و شديدو الإخلاص لجهلهم ..
- إذا كان عمله يعتمد على السرية والكتمان والممارسة فى عيادات سرية غير مرخصة ولا تخضع لرقابة المؤسسة العلاجية الرسمية .
- إذا أكثر من رش البهارات والمقبلات الدينية التى يستعملها لطمس حقيقة أنه ليس طبيباً وليس من حقه التعرض لأجسام المرضى؛ فهؤلاء المتلاعبون بالعواطف الدينية يشعرون بالنقص تجاه العلماء والأطباء الحقيقيين فيزايدون عليهم بمعرفتهم الزائفة ببعض النصوص الدينية التى لا يجيدونها إلا حفظاً وإتجاراً !

وقد أخذتُ عهداً على نفسى؛ أن أجعل من تلك العلامات المخزية نبراساً لى في كل ما أكتب عن الحجامة ،وناقوس خطر أدقه بلا كلل مطالبةً بدمج هذا النوع من الممارسة العلاجية فى مناهج كليات الطب ،لقطع الطريق على الدجالين والمشعوذين وأطباء الزور،ولإنقاذ الناس من الاستنزاف المادى والمعنوي،وغرس شيء من التنوير النقدى البصير يتيح للناس الاختيار فى ضوء المعرفة لا فى عتمة الجهل وغياهب التضليل.

بالنسبة لى ،كان أمر هؤلاء المحتالين والمحتالات الذين يطلون علينا من شاشات التليفزيون وصفحات الجرائد،يفجرنى غيظا وأسفا،كنت أنفعل وأطلق كل مدفعيتى الثقيلة من الشتائم أمام شاشات التليفزيون التى كان يطل منها هؤلاء الأطباء المزيفون الكذبة،فجهلهم- حتى بما يسمى الطب البديل- فاضح،واحتيالهم مكشوف،كنت أعلم مدى ضحالتهم ووقاحتهم جيداً؛ فقد أبحرت طويلا فى هذا المحيط المعرفى الجميل الذى يلوثه هؤلاء القراصنة بطمع اللصوص وجرأة الجهلة وصفاقة المدعين،كانوا يستثمرون احتيالاتهم لغايات رخيصة من التربح المادى والأبهة الزائفة،وكانت التليفزيونات غير المسئولة تتفاخر بزيادة نسبة المشاهدة وتكالب المتصلين من ملايين الجماهير الغافلة؛ التى كانت فى غيبوبة جعلتها تصدق كل ما يقذفهم به هؤلاء المحتالون من ترهات .

إننى صبـــورة على الغبـــاء،لكن ليس على من يفاخرون بغبائهم

إديث سيتول

(شاعرة طليعية وعبقرية من عباقرة الأدب الإنجليزي)

كان هذا الإجرام بحق العقل البشرى والثقافة والمعرفة الطبية يحزننى دائما ،لأنه يغتال إسهامات مهمة من وحى الطب القديم بدأت

تتفاعل بشكل جيد مع فنون الطب الحديث المتجددة،وإسهامات يمكن أن تقدم دوراً نحتاج إليه في بلادنا التي تعاني أزمات اقتصادية وصحية كثيرة،حيث تتضمن مقترحات لتحسين الرعاية الصحية الأساسية بتكلفة اقتصادية أقل؛ وهي مقترحات جديرة بالاعتبار إذا ما تنبهت إليها مراكز البحث العلمي.. وانتشلتها من وسائل الاحتيال والتضليل التليفزيونية والصحفية!

لذا فإنني أصر أن تنضوي كل المداخلات الطبية المذكورة فيما يُعرف بـ « الطب البديل » ،ومن بينها الحجامة ،تحت راية الطب « ليس البديل» أبدا عن الطب الحديث،فهو طب «غير بديل»،يتشبث بالطبيعة والطبيعي في وجودنا المادي والنفسي والروحي،ولا يزعم قدرته على إزاحة الطب الحديث العظيم،الذي قطعت العقول البشرية النابهة مشاوير طويلة جليلة على دربه،أوصلت ملايين المرضى إلى عتبات الشفاء والعافية بينما تقطعت السُبل بملايين المرضى الذين كانوا مصابين بنفس الأمراض في عصور سابقة للطب الحديث .

الفصل الرابع

الحجامة والوقاية .. التوأمة المنسيّة !



إقرأ هذا الفصل باعتباره مرجعاً ملخصاً لأساليب استخدام الحجامة لدعم طاقات الاستشفاء الذاتى لجسمك والنهوض بقوتك البدنية؛ إقرأه أيضاً لتتعرف على بعض التفسيرات العلمية المحتملة التى قد تُفسر كفاءة الحجامة فى هذا المجال .

الخرافات الشائعة المتعلقة بتاريخ ومفهوم الحجامة كثيرة ومعقدة. ولكن أكثر تلك الخرافات براءةً؛ الاعتقاد بأن الحجامة كانت فقط وسيلة علاجية يقدم عليها المرضى طلباً للاستشفاء. والحقيقة أن المتأمل لتاريخ ممارسة الحجامة على اختلاف الشعوب والثقافات التى مارستها؛ يلحظ أن استخدام الحجامة لم يقتصر على اعتبارها وسيلة علاجية لمرض محدد؛ ولكن كوسيلة لتحفيز طاقات الجسم الداخلية للشفاء عامةً وإعادة التوازن الطبيعى للجسم حال تعرضه لأدنى درجة من درجات الاضطراب الوظيفى . بل يبدو من الاستقراء التاريخى للاستطباب بالحجامة أن استعمال الحجامة بهدف الوقاية وحفظ الصحة كان أكثر من استعمالها للعلاج من الأمراض؛ وأنها ارتبطت فى الموروث الثقافى والطب الشعبى بالتدابير الوقائية لحفظ الصحة والشعور بالراحة والمزيد من الانتعاش.

وقد مارست شعوب كثيرة هذا النوع من الحجامة بتوسع؛ استناداً إلى ملاحظتهم أن الأشخاص الذين يواظبون على الحجامة بشكل منتظم يتمتعون بصحة جيدة ويكونون أقل عرضةً للإصابة بالأمراض. و كانوا يقيمون الحمامات العامة لإجراء عمليات التنظيف والتطهير الطقوسية مصحوبة بعملية الحجامة بعد حمام ساونا ساخن لغرض الابقاء على الصحة والحيوية(١). وازدهرت الحجامة الوقائية بشكلٍ خاص فى البوادى والمناطق الصحراوية فى الخليج العربى وسيناء والصحراء الكبرى . وفى قرى الدلتا المصرية أيضاً؛ فكلنا يذكر حكايا الجدات

1- Vaskilampi, T. and O. Hänninen. Cupping as an indigenous treatment of pain syndromes in the Finnish cultural and social context. Soc. Sci. Med. 16: 1893-1901, 1982.

الطيبات في القرى والأماكن الريفية عن كؤوس الهواء الساخنة والشعلة الملتهبة اللاتى كن يجدن الراحة وشعرن بالحيوية بعد استعمالها . ولم تزل الحجامة ممارسة وقائية


لوحة زيتية للحجامة الوقائية في التراث الشعبى للخليج العربى

مُحببة ومقبولة دينياًو إجتماعياً وثقافيا إلى مدى بعيدٍ في المجتمعات العربية والإسلامية كونها مدعومة بشكل مباشر من قبل العديد من النصوص النبوية الشريفة؛ فالحجامة إحدى التوصياتِ النبويةِ الطبيةِ الأكْثَر شَهْرَةِ (٢)

وفى فترات النقاهة كانت الحجامة تستخدم أيضاً للاعتقاد السائد بأنها تعمل على تنشيط الدورة الدموية وسرعة إلتئام وتلاحم الأنسجة؛ كما تساعد في استقرار العديد من وظائف أعضاء الجسم الفسيولوجية. كانت المجتمعات القديمة تمارس ذلك ببساطة؛ لم تخبرهم نتائج أى بحوث معملية بذلك؛ ولكن كانت حكمتهم الداخلية تملى عليهم ذلك.

---

٢ - أوصى النبى محمد صلى الله عليه وسلم بهذا العلاج وتعالج به , ودعا إليه فيما يربو عن ٢٨ حديثاً نبوياً؛ منها ثلاثة أحاديث كلها صحيحة متفق عليها و لم يضعفها أحد؛ حثت جميعها على الحجامة وأوصت بها، منها قول النبى الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم : « خير ما تداويتم به الحجامة». (أخرجه الشيخان والنسائى رَضِى اللَّهُ عَنْهُمَ)..

مناعتنا الطبيعية فى خطر!

إننا فى الواقع مجبرون - الآن أكثر من أى إنسان فى الأزمنة السابقة - على أن نتعلم المزيد والمزيد عن طبيعة قوات الدفاع الداخلية؛ وكيف تعمل داخل أجسامنا وما الذى يقويها أو يضعفها؛ وكيف نتخلص من السموم والملوثات التى ترهق دورتنا الدموية؛ خاصة بعد أن تنبهنا إلى إن تسمم الدم أصبح مشكلة خطيرة فى المجتمعات المعاصرة ،ومخاطر الكوليسترول والإضافات الغذائية المُصنّعة والتدخين وعوادم الرصاص وكل أشكال التلوث البيئى الأخرى . وبعد أن أيقنا أن السموم هى السبب المباشر للعديد من الآلام ،والشقاء ،والخسارة الفادحة للموارد البشرية والقوى العاملة النشطة؛ وبعد أن أدركنا أن السموم اليوم لا تأتينا من لدغات الحشرات و العقارب أو الثعابين ، أو من طعام ملوث و مشروب فاسد يؤدى إلى اضطرابات فى الجهاز الهضمى فحسب .

وفى ظل غياب أسباب واضحة للإجهاد والألم؛ وعجز وسائل التشخيص والمعالجة الحديثة عن مساعدة المرضى الذين لا يكفون عن الشكوى من عدم الشعور بالراحة؛ توجه الناس للتنقيب عن وسائل للإستشفاء وطلب العافية لا بقصد التخلص من أعراض محددة لمرض معين . وأدى ذلك إلى تزايد أعداد الذين يلجأون لاستعمال الحجامة كأحد أساليب وتقنيات «حفظ الصحة» المُدرجة تحت مُسمى «الحجامة الوقائية» أو «الحجامة الإختيارية» .

فقد صُنّفت الحجامة فى كتب الطب العربى القديمة إلى نوعين ، الحجامة حال المرض (الحجامة الضرورية) والحجامة حال الصحة

(الحجامة الإختيارية)؛ فإلى جانب استعمالهم للحجامة بهدف التداوى أو صرف القيح وسموم الأفاعى والعقارب الصحراوية؛ كان العرب فى شبه الجزيرة العربية يستعملون الحجامة وهم أصحاء أيضاً بغرض تقوية الصحة ومقاومة الأمراض. وكانوا يفضلون إجراء هذا النوع من الحجامة (الحجامة الإختيارية) مع اقتراب الثلث الأخير من الشهر القمري،أما الحجامة حال المرض (الحجامة الضرورية) فيُمْكِنُ أَنْ تُستَعملَ فى أى وقت كلما اقتضت الحاجة. ويُقال أن الخليفة العظيم عمر ابن الخطاب كان يوصى الجنود بالاحتجام قبيل المعركة ويفسر ذلك بأنه أقوى على القتال.

وكان إجراء الحجامة فى دكاكين الحلاقة مزدهراً فى أوروبا حتى وقت قريب؛ ولم يكن ذلك بهدف الاستطباب؛ ولكن على سبيل تنشيط الدورة الدموية واكتساب الحيوية والمزيد من العافية واستعادة حيوية الجسم وتناسقه الحيوى وإتزانه.. ويبدو أن ارتباط الحجامة بالحلاقين كان وثيقاً؛ فقد كانت الحجامة وخلع الضروس ضمن المهارات التى يتقنها الحلاق فى كثير من المجتمعات العربية والاسلامية . وما زلنا نرى جموع الحجاج والمعتمرين يقبلون على الحجامة عقب التحلل من الإحرام وقص أو حلق الشعر وهم أصحاء لا يطلبون الشفاء من علة هذه المرة؛ ولكن تأسياً بفعل النبى صلى الله عليه وسلم الذى احتجم عقب التحلل من الاحرام و لم يكن مريضاً أيضاً . ولهذا يُطلق العوام على هذا النوع من الحجامة « حجامة السنة»!

ولكن انتبهوا .. !! .. فأنا لا أعنى من سرد تلك القصة المفعمة بالحنين والمشحونة بالذكريات النبوية الشريفة؛ أن نتوقف عن التفكير ونصبح

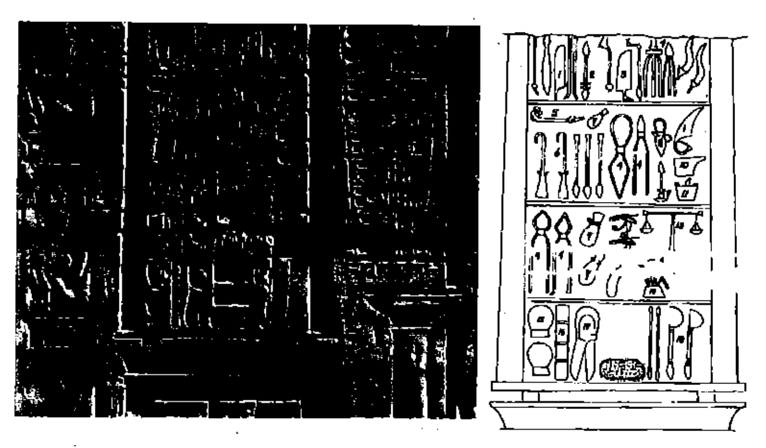
مغفلين ... فإن أحداً من كبار الفقهاء الأجلاء لم يفهم من ذلك وجوب الالتزام بالحجامة عقب التحلل من الإحرام ؛ ما يُشير إلى أن الحجامة كانت طقساً طبيعياً يستتبع عملية حلق الشعر فى ذلك الزمان؛ وليست منسكاً تعبدياً علينا اتباعه ولا شرطاً أو ركناً من اركان الحج او العمرة؛ ومن فعله تحبباً وتبركاً فالله حسيبه وكفيل بإجزال الثواب عليه إن شاء؛ ولكن ليس له أن يُلصق بالعبادات ما هو من العادات؛ ولا أن يُدلس على عقول المتدينين بما ليس من الدين فى شيئ !

• • •

يظن كثير من المسلمين المتحمسين للحجامة أنها ممارسة ولدت فى جزيرة العرب؛ لإرتباطها بتوصية النبى الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم . ولذا فهناك تصور ذهنى أن أول وجود تاريخى للحجامة كان فى العهد النبوى . والحقيقة أن الحجامة ممارسة عتيقة تمتلك سجلا تاريخيا طويلا ومحترما . و تُعد من أقدم فنون العلاج التى عرفها الإنسان منذ أزمان سحيقة (أكثر من ٥٠٠٠ سنة)، حيث لَعبَت الحجامة دوراً حيوياً فى التقاليد والطقوس الطبية للعديد منْ الثقافات و الحضارات؛ ومورست من قِبل كُلّ المجتمعات البشرية تقريباً؛ فى كافة ثقافات العالم. ولازالت أحد أبرز أنماط الطبِّ الشعبي إستعمالا حول العالم ،. وقد أقّر النبى الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم هذه المعالجة وزكاها على غيرها من الممارسات الإستطبابية المعروفة فى ذلك الوقت؛ ولكنها لم تكن اكتشافاً أو اختراعاً نبوياً كما يتصور البعض.

وتعد أول إشارة تاريخية للحجامة تلك التى وردت فى بردية أبريس

المكتشفة فى القرن التاسع عشر وهى أقدم مرجع طبى عرفته البشرية فقد تمت كتابته فى عام ١٥٥٠ قبل الميلاد تقريبا، كما وجدت رسوم لكؤوس الهواء على سراديب ومقابر قدماء المصريين ومعابدهم.



رسم على مدخل معبد كوم امبو(Kom Ombo) بالأقصر، تُظهر النقوش منضدة تعرض مجموعة من الأدوات الجراحية من بينها كؤوس الحجامة ومجموعة من المباضع والملاقط الطبية . وهذه الرسوم الجدارية تُبرهن على استخدام الطبيب المصرى القديم للحجامة وكونها من وسائل العلاج التى إرتبطت بالمعبد الفرعوني (٣).

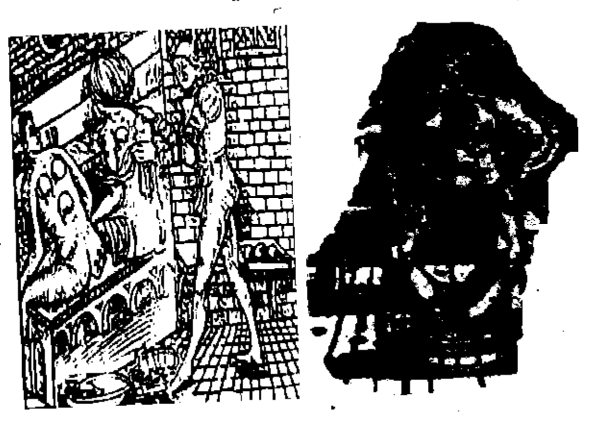
ازدهار وانتشار

بعد ذلك انطلقت الحجامة من وادى النيل إلى أنحاء العالم على أيدى الفراعنة ،ونقل هذا العلاج عنهم الكثير من الدول المجاورة حتى وصل إلى الصين ، فقد كانت القبائل الاسيوية مثل الهكسوس تنتقل من مصر الى آسيا ومعهم أخبار العلم والطب فى مصر القديمة. ولاقت الحجامة

٣ - Ebeid N I (١٩٩٩): Egyptian Medicine In The days of The Pharaohs; P: ١٣٢, General Egyptian Book Organization.

الوقائية رواجا واسعا في الصين والهند وكافة أنحاء آسيا.

كانت الحجامة عملية شائعة خلال أيام الأحد عندما كان المستحمون يتخلصون من الفضلات السمية والدماء الزائدة فى أجسامهم، وكانت تلك الحمامات تقدم المطهرات القوية الى روادها فيما قبل وبعد اجراء عمليات الحجامة. يذكر أن روما وحدها كانت تضم ٩٠٠ حماما عموميا تجرى فيها عملية الحجامة، وظلت هذه الحمامات العمومية سببا لازدهار الحجامة كونها جزءا لا يتجزأ من الحياة الاجتماعية.



الحجامة فى الحمامات العامة صورة من القرن السادس عشر (٤)

كما عرف العرب الحجامة الوقائية جيداً ومارسوها بتوسع. وظلت سائدة فى الجزيرة العربية كوسيلة لحفظ الصحة والوقاية من الأمراض الخاصة بطقس البادية شديد الحرارة مثل (تبيغ الدم)(٥).

4 - Acupuncture and Electro Therapeutics Research Institute Journal, Vol7. Pergamopn Press, USA.

٥- التبيغ هو التهيج والمعنى زيادة الدم أو تهيجه. وأكثر ما يحدث فى ارتفاع التوتر الشريانى المترافق باحتقان الوجه والملتحمتين والشفتين واليدين والقدمين. ويحدث أيضاً فى فرط زيادة

الذى حذر منه النبى صلى الله عليه وسلم أهل الحجاز بقوله : " إذا اشتد الحر فاستعينوا بالحجامة لا يتبيغ الدم بأحدكم فيقتله»(٦) . و قد ذكر الأطباء العرب القدامى فوائد كثيرة للحجامة تتداخل أحياناً مع العلاج بالفصد وإن ميّزت بعض المراجع التاريخية بين دواعى الإستطباب بكلٍ منهما.

ذبـول وأُفـول !

ظلت الحجامة سائدة ليس فقط فى الممارسة الشعبية؛ بل وفى الدوريات والمراجع العلمية أيضاً حتى القرن الثامن عشر الميلادى فحتى ذلك الوقت كانت الحجامة مقبولة لدى الأطباء وفى الأوساط العلمية على اعتبار أنها وسيلة لطرح المواد السميّة من الجسم؛ ولكن هذا القبول بدأ فى التراجع تدريجياً على امتداد النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادى؛ حيث كان آخر ظهور للحجامة فى المراجع والدوريات العلمية فى النصف الأخير من ذلك القرن .

وقد حدث ذلك الأفول لنجم الحجامة تدريجياً؛ حيث بدأ فى القرن الخامس عشر حين أصبحت الحمامات العمومية فى أوروبا مثيرة للاشمئزاز بسبب الممارسات اللاأخلاقية وانتشار الفسق والمعاصى بين جدرانها ، فنبذها الرهبان واصفين اياها بأنها « بيوت ملتهبة بالخطيئة»، كما ظهرت مطبوعات نشرت فى تلك الفترة رسوما لرجال ونساء معا فى مغاطس الحمامات ، وعرضتهم يأكلون ويشربون معا ويعزفون على الالات الموسيقية فى تلك الحمامات ، ووسط تلك المشاهد الماجنة كان يظهر شخص يُجرى الحجامة على يد صاحب الحمام الذى غالبا ما يكون هو

كرات الدم الحمراء (Polycythemia) والتى تحدث لأسباب عديدة.

٦- رواه الحاكم وصححه.

الآخر حجاما وحلاقا ، وأسهم ذلك فى خلق شعور بالاستياء من الحجامة وتأخير العمل بها وانحرافها عن العلوم البحتة . وما أن حل عصر النهضة حتى كانت الحجامة قد ارتبطت بحميمية بعلم التنجيم الذى تمتع بسلطة مطلقة خلال الفترة بين القرنين الثالث عشر والسابع عشر ، وقد تأثرت عملية الحجامة إلى حد كبير بعلم التنجيم ، فوضع لاستخدامها نظام يعتمد على خرائط النجوم ، وقيل أن كل عرق فى جسم الانسان يتصل بأحد النجوم أو الكواكب كما يتصل كل عضو باشارات فى دولاب الابراج ، وبناء على الاعتقاد السائد بأن حياة كل عضو من اعضاء الجسم محكومة بمجموعة من النجوم ، كان ممارسو الحجامة يعتقدون أن باستطاعتهم تشخيص جميع الامراض من خلال قراءة مواقع النجوم (٧)!!

وبطبيعة الحال؛ أدى كل ذلك التردى فى ممارسة الحجامة إلى جعلها تبدو كنوع من أنواع الدجل والشعوذة؛ ودفع أطباء تلك الفترة إلى نبذ الحجامة كلياً واعتبروها إحدى خرافات العلاج عن طريق النجوم . فى ذات الوقت؛ كان رفض الأطباء لعمليات فصد الدم يتزايد بشدة لما تؤدى إليه من اهدار مجنون للدم؛ وعلى الرغم من قلة ومحدودة كميات الدم التى تخرجها كؤوس الحجامة؛ إلا أنها أُخذت بذنب عملية الفصد؛ ونالها أيضاً من نفور الأطباء حظ وفير. وهكذا ضعفت ممارسة الحجامة على أيدى الاطباء، وإن ظلت تمارس على المستوى الشعبى فحتى أوائل القرن التاسع عشر الميلادى كان الأصحاء من سكان الضواحى والبلدات الإنجليزية يذهبون إلى « لندن» بإنتظام مرّتين فى السَنَة؛ إحداهما فى فصل الربيع والأخرى فى الخريف بهدف التسوق؛ وكانوا يقصدون المستشفى لعمل الحجامة كجزء مِنْ برنامج دورى لصيانة الصحة

٧- هلينا عبد الله : الحجامة الحديثة- مكتبة مدبولي- ٢٠٠٢

والاحتفاظ بحالة صحية جيدة؛ فقد كان سكان انجلترا فى ذلك الوقت يعمدون إلى عملية نزف الدم إعتقاداً بأن التخفف من الدمُ يُدعم الصحة العامة (٨).

انبعـــاث جـــديد !

ولكن بمرور الوقت تسببت النتائج السلبية لتعاطى العقاقير الكيميائية فى ميلاد مشاكل صحية جديدة . ومن جهة أخرى؛ أظهر الطب الحديث عجزه عن معالجة العديد من الأمراض ما دفع بالعديد من الأطباء إلى إعادة التفكير فى جدوى الطرق الوقائية التقليدية القديمة. وبدأ مشوار البحث عن طرق وقائية تسهم فى التخلص من سموم وملوثات البيئة الصناعية وتعمل على استعادة الصحة والحيوية . وهنا ولدت مدرسة « الطب البديل» لتُبشر بوسائل وتقنيات ذات تأثير فعال يعزز الجهاز المناعى ويخلص الجسم من السموم . وفى كثير من البلاد الأوروبية والأمريكية بدأت تنتشر مراكز ومعاهد لممارسة وتعليم وسائل الطب البديل؛ وظهرت الحجامة العتيقة إلى مسرح الممارسات الوقائية الهادفة لحفظ الصحة وتقوية المناعة؛ واحتلت موقعاً بارزاً بين هذه الوسائل تعليماً وتطبيقاً.. وإن تنوعت المدارس النظرية التى ترتكز عليها الممارسة العملية .

From Haircutters to Hemochromatosis: A history of :(٢٠٠٢) Hamilton S -٨
١١th Annual History of Medicine Days.WA Bloodletting; Proceedings of the
.١٥٥-١٤٩ :Whitelaw – P

قصة صداقة من أربعة فصول !!

علاقة الحجامة بالمناعة قصة طويلة بدأت بـ

ميلاد غامض ...

فانتشار وازدهار فى الجغرافيا والتاريخ ...

فذبول وأفول ..

ثم عودة فى ثوب جديد !!

لا شك أننا حين نمعن النظر إلى ذلك التاريخ الموغل فى القدم لعملية الحجامة فإننا نشتم فيها عبق أصالة لم تستطع خمسة آلاف سنة من الزمان أن تطمسها،أو تذهب بروعتها... ولكن ذلك جميل ومقبول على مستوى التطور التاريخى والتراث الإنسانى . أما على مستوى البحث العلمى والحقائق الطبية فإن كل ذلك التاريخ الطويل لا يعدو ان يكون قصصاً مُسليّة يدرأ بها الأطباء سأم المناوبات الليلية فى المشافى؛ قد تكون قصصاً شيقة وطريفة ولكنها لا تكاد تلامس بحال من الأحوال درجة البرهان والدليل العلمى .

أقول ذلك لأن كثيرين من ممارسى الحجامة يتباهون بسرد التاريخ الطويل لهذه الممارسة العلاجية؛ فى محاولة لتعويض نقص البراهين العلمية والدلائل التجريبية . ولكن الجزور التاريخية مهما امتدت لا تكفى فكما أن ليس كل جديد دخيلاً .. كذلك ليس كل قديم أصيلاً !

تذكـــــر !

استمتع بما ترويه القصص التاريخية.. ولكن لا تلتفت إلا لما تقوله البحوث العلمية ..

فالتـــاريخ وحده لا يكفى !!

قبل كل شئ : الوقاية !

قد يبدو أن المرض يصيب الإنسان فجأة؛ لكن الأمر ليس كذلك؛ فأعراض الشعور بمجرد الإرهاق تظهر أولاً فى المراحل الأولى من المرض؛ بحيث تشتكى من آلام غير معروفة السبب؛ كالشعور بتقلبات بالمعدة والشعور بعدم الراحة وألم بالمفاصل إلى غير ذلك من الأعراض غير المحددة . ولكن إذا لم يحصل الطبيب على ما يوضح له سبب الخلل فى أداء وظيفة عضو ما من خلال إجراء أشعة إكس أو غير ذلك من وسائل التشخيص الحديثة؛ فلن يلتفت لتلك الأعراض ولن يتمكن من مساعدتك. فدائماً ما يكون السبب وراء ظهور أعراض المرض على بعض أجزاء الجسم دون البعض الآخر غير معلوم.

لكن هذه الأعراض فى الحقيقة تمثل أولى الدلالات والمؤشرات على الخطر القائم الذى يمر به جسمك. وتجاهل هذه الأعراض وعدم الاهتمام بها سيأتى على حساب قوة جهازك المناعى ويربك عملية « تكييف الطاقة مع الجسم»؛ وهذه المرحلة تقتضى مواجهة ما ينتج عن تطور تلك الأعراض؛ وإذا لم تتم معالجتها فإنها ستظهر بشكل أكثر تحديداً؛ ويبدأ هذا العرض المبهم فى التبلور والظهور بالشكل الصريح للمرض.

الصحة والمرض :مستويات أخرى من الوعيّ

على مدار العشرين عاماً الماضية؛ أصبحنا أكثر وعياً بالعلاقة بين مفهوم «الصحة» الذى يُقصد به خلو الجسم من الأعراض المَرضية ومفهوم « العافية» الذى يُقصد به شعور الإنسان فعلاً بالصحة والحيوية . وبدأنا نلمس الفرق بين أن نكون أصحاء بالفعل؛ وان نكون أصحاء

ظاهرياً ولكننا فى مرحلة ما قبل ظهور الأعراض (Pre-clinical Sage) (٩)؛ وندرك بالفعل معنى أن الحفاظ على صحتنا يقع فى صميم اختصاصتنا وأن الدور الحقيقى للطبيب الإخصائى هو فقط المعالجة عند الإصابة بالأمراض.

فالشعور بالإرهاق غالباً ما يُعد بمثابة المؤشر الأول على المرض؛ وقد يكون العرض الوحيد الذى ينبئ عن كثير من الأمراض المستترة . فالمرض يظهر أولاً فى شكل انخفاض فى مستويات الطاقة والحيوية قبل أن يستفحل ليظهر على المستوى البدنى . أريدك أن تتذكر حالك قبل أن تصاب بالإنفلونزا؛ كل ما هنالك أنك تبدأ فقط بمجرد الاحساس بأنك لست فى حالتك الطبيعية . وبعد قليل عندما تتطور حالتك؛ ستلاحظ شعوراً مبهماً بأن مستوى صحتك أقل من معدله؛ وربما تشعر بقليل من الإحباط وتصبح سريع الانفعال وقد تبدو شاحباً بعض الشئ تعوزك الطاقة .

تذكـــــر !

قد يبدو أن المرض يصيب الإنسان فجأة؛ لكن الأمر ليس كذلك

ويؤكد ممارسو « الطب البديل» – المعالجين غير الطبيين - على أهمية

٩- يطلق أطباء الطب البديل أو التكميلى على مرحلة ما قبل ظهور الأعراض الإكلينيكية (السريرية) اسم « المرض الفسيولوجى » ؛ فحسب فلسفة الطب البديل فأنك إن كنت تعانى دون ظهور أى أعراض تشخيصية؛ فهذا يعنى أنك لست مصابا بالمرض و لكن بتغير فى فسيولوجية الجسم و أنك فى طريقك إلى المرض الحقيقى . بينما يطلقون على المرض ظاهرالأعراض اسم « المرض الباثولوجى» ولكن « المرض الفسيولوجى» يعد تسمية غير صحيحة .. فالمرض لا يمكن أن يكون فسيولوجيا بأى حال؛ فما دامت فسيولوجيا الجسم سليمة فلا يمكن أن يكون هناك مرض. فالفسيولوجيا والمرض لا يجتمعان . لذلك أفضل التسمية الصحيحة (مرحلة ما قبل ظهور الأعراض)

توجيه الاهتمام إلى هذه المؤشرات التى تطرأ على الجسم قبل الإصابة الفعلية بالمرض . ومؤخراً أصبح كثيرمن الأطباء التقليديين (الرسميين) أكثر وعياً بالعلاقة بين هذه المرحلة المتوسطة بين الصحة و الإصابة بالمرض. فقد نسب أحد الأطباء هذا الشعور العام بالمرض وعدم الراحة إلى عدم الانسجام الذى حلّ بالطاقة الخلوية والجزيئية والذرية وكذلك الطاقات الانفعالية والعقلية (١٠) .

بينما يرى الطبيب الألمانى ألفريد بيشنغر(١١) (Alfred Pischinger) أن الدم وأنسجة الجسم لها القدرة على تكديس وتجميع المواد السامة (التوكسينات Toxins) التى تنخر بالتدريج فى الحيوية الوظيفية لأجسادنا . وإذا لم نتخلص من تلك المواد السامة بشكلٍ منتظم – فإن تجمع السموم فى أجسامنا سيتفاقم إلى درجة تعجز أجسامنا عن احتمالها اكثر من ذلك؛ ومن ثم نبدأ فى الشعور بالإرهاق والوهن العام دون أن تعثر وسائل التشخيص على سبب يفسر ذلك . وما لم نتخلص من تلك السموم؛ فإن محور التوازن العصبى الهرمونى المناعى (Neuro-Immuno hormonal Axis) يبدأ فى الاضطراب و يفقد جهاز المناعة السيطرة على الموقف ومن ثم يتخلى عن وظيفته ويستسلم للانهيار المتمثل فى الاصابة بأمراض السرطان ،وارتفاع ضغط الدم ،والفشل الكلوى والسكتة الدماغية ،والربو ،وتصلب الشرايين

١٠- لويس بروتو : كتاب الاستشفاء الذاق ؛ ترجمة قسم الترجمة بدار الفاروق للنشر والتوزيع ٢٠٠٧ -

١١- ألفريد بيشنغر (١٨٩٩-١٩٨٢) : كانَ أول عالم قام بتطوير نظرية للطب الشمولي(holistic medicine) مستنداً على نموذج الوحدة الأساسية لنظام التوازن الحيوى (The basic regulatory system) الذى ينظم العلاقة بين الخلايا ومحيطها الخارجى extracellular matrix .

،والروماتيزم ،وغيرها من الاسباب المؤدية الى الوفاة .

وأما رودولف كارل فيرشو (Rudoloph Virchow)(١٢) رائد علم الأمراض فى القرن الثامن عشر- فقد أضاف مفهوماً جديداً لأسباب حدوث الأمراض عندما قال: « إننى إن استطعت أن أعيش عمرى مرة أخرى ،فاننى سوف أنذره من أجل إثبات أن الميكروبات و أسباب المرض تبحث عن نسيج مريض أكثرمن كونها مجرد سبب للمرض تماما؛ كما يبحث البعوض عن المياه الراكدة؛ فالبعوض لم يسبب الماء الراكد وليس له دورفى أن تصبح المياه راكدة. ولكن الماء الراكد هو الذى جذب البعوض كمأوى طبيعى يمكنه أن يعيش فيه. وكذلك يجذب النسيج الواهن الضعيف المرض».

وبينما كان (باستور) يرى أن الميكروبات هى التى تسبب الاصابة بالأمراض؛ كان (كلاود) يرى أن الميكروبات لا تصيب الانسان بالمرض إلا إذا كان جسمه مستعداً لاستقبال الميكروبات؛ وأن الجسم إن كان غير مهيئاً لاستقبال الميكروبات؛ فإنه من المؤكد أن تكون الميكروبات عديمة الفاعلية . أى أن المقاومة الهزيلة وليس الميكروبات –فى حد ذاتها- هىالعامل المؤثر فى نشأة المرض. و كان ذلك رأى جون شاو بيلينغز(١٣) (John Shaw Billings) الذى انتقد رأى باستور قائلاً : « من المهم

١٢- رودولف كارل فيرشو (١٨٢١-١٩٠٢) : طبيب ألماني، أحيائي، أخصائى علم الأمراض،وهو سياسى أيضاً وأخصائى صحة عمومية وعلم الإنسان. ويعتبر واحداً من مؤسسى الطب الاجتماعي.

١٣- جون شاو بيلينغز (١٨٣٨-١٩١٣م) : جراح أمريكى ومخطط مستشفيات ومكتبات .عَملَ كجرّاح فى الجيشِ الأمريكيِ وكَانَ مسئولاً عن تأسيس مكتبةِ الأُمّة الطبيةَ الأولى The nation›s foremost medical library ،التى تُعرف الآن بالمكتبة الوطنية للطبِّ National Library of Medicine ..

أن نتذكر أن دخول الميكروبات إلى الجسم لا يعنى بالضرورة تكاثرها أو ظهور المرض. حالة الجسم لها تأثير كبير على النتيجة. وهذا مخالف لإستنتاجات لويس باستور» . وفى أواخر أيامه همس (باستور) فى أذن أصدقائه الذين تجمعوا عند فراش موته قائلاً : « لقد كان (برنارد) محقاً؛ فالميكروبات لا تعنى شيئاً؛ أعضاء الجسم هى كل شئ» .

إننى لا أستغرب أن تظل هذه الرؤية المتعلقة بالأسباب الحقيقية للمرض والخاصة بأحد أكبر علماء العالم ظلت شبه مجهولة على مدى الثمانين عاماً الماضية تقريباً؛ فإننى أدرك جيداً أن الطب الحديث لايعتمد على الحقائق العلمية تماماً كما يتصور أنصاره المتحمسون له؛ ولكنه ملئ بالقضايا غير المنطقية والآراء المجحفة وهو أيضاً مادة خصبة للتربح والدعاية . والأطباء لم يتعلموا كيف يحتكمون إلى العقل؛ فقد تم تدريبهم على أن يتبعوا ما تلقنه لهم المدارس الطبية التى ينتمون إليها وروادها من الأطباء البارزين. كما استحوذت شركات الأدوية بما لديها من نفوذ وأموال ضخمة على الطب الحديث خلال العشرين سنة الماضية. وتسيطر معظم هذه الشركات فى الوقت الحالى على توجه الأبحاث الطبية والعلوم التى تدرس فى كليات الطب والمعلومات الطبية التى يتم نشرها على العامة .

وفى عصر اعتدنا فيه على الاعتماد على العلم لاستنباط النتائج؛ لابد أن نكون أكثر ارتياحاً لتصديق رأى (باستور) عن رأى (برنارد) و(جون شاو بيلينغز) . فنحن نميل إلى تصديق أن الميكروبات هى التى تسبب الاصابة بالمرض؛ وليس نمط حياتنا وطريقة معيشتنا؛ وأن المرض ينشأ كحادث غير سعيد ليس لنا دخل فى حدوثه؛ وبما أننا لا نحمل أنفسنا

ولا البيئة التى نعيش فيها مسؤولية مرضنا؛ فإننا نلجأ إلى المؤسسات الصحية لعمل اللازم حتى نسترد عافيتنا مقابل بعض الجنيهات . ولكن ما يجهله غالبية الناس هو أن كل ما تفعله الأدوية والعقاقيرهو طمس الأعراض فقط وليس لهم أى تأثيرفى استعادة نضارة وحيوية أنسجة الجسم. وأن الأدوية لا تجلب العافية ما دام نظام غذائنا وتنفسنا ونشاطنا الرياضى عليلاً.

ووفقاً لهذه الرؤية لمفهوم المرض؛ فإن الدواء المستخدم - بصرف النظر عن نوع الطب سواء أكان طباً تقليدياً حديثاً أو عمليات جراحية أو أى صور أخرى من صور الاستشفاء- ليس إلا محاولة لإعادة تنظيم أنماط قوة الجسم والعقل والانفعالات من اجل ترميم طاقة الجسم و تعزيز قدرته على مقاومة الأمراض وحفظ صحة الانسان . وحيثما تفوق العلاج بالحجامة أو الوخز بالإبر - أو غيرها من وسائل العلاج غير التقليدية – على وسائل الطب الحديث؛ فإن ذلك التفوق يتمثل فى كون تلك العلاجات غيرالتقليدية قادرة على معالجة المرض والتعامل معه فى بدايته وقبل ظهور الأعراض الحقيقية والصورة الكاملة للمرض.

- ذات يوم استدعى طبيب صينى إلى بلاط الإمبراطور؛ اقترب الطبيب من الامبراطور؛ تفحصه قليلاً؛ ثم قال له :

- سيدى ! أنت مريض ... مرضك يكمن فى الجلد؛ وبإمكانى أن أعالجك فى غضون ثلاثة أيام.

لم يكن الإمبراطوريعانى من أى ألم؛ فلم يكترث لكلام الطبيب؛ وأجابه :

- ليس عندى وقت لمثل هذا العلاج!

بعد شهر؛ رأى الطبيب الملك ثانيةً فى حفل راقص أُقيم فى القصر؛

فاقترب منه؛ وقال :

- سيدي! لقد تجاوز المرض الجلد وبلغ العضلات !... وبإمكاني أن أعالجك فى غضون ثلاثة أسابيع.

غير أن أوجاع الملك فى ذلك الوقت كانت لا تزال طفيفة وعابرة؛ فأجاب الطبيب بالقول :

- فيما بعد !...فيما بعد!... ليس عندى وقت الآن!

- بعد شهرين؛ اجتمع الطبيب بالإمبراطور مرة ثالثة فى رحلة صيد؛ فأحس بخطر داهم . ورجع إلى بيته على الفور وشرع فى تجهيز حقائبه على الفور . وعندما رآه خادمه سأله :

- سيدى !..إلى أين تنوى السفر؟

أجابه الطبيب:

- إن حالة الإمبراطور شديدة الخطورة. لقد بلغ المرض العظام. غداً سوف يبدأ الألم؛ وسوف يستدعينى لمعالجته؛ ولن أتمكن من فعل شيئ . أخشى أن يغضب ويأمر بقطع رأسي.. لذا فإننى راحل عن هذه البلاد!!

هذه القصة الرمزية تشير بوضوح إلى أهمية الوقاية ومعالجة المرض فى أبكر وقت ممكن؛ ومحاصرته قبل أن يستفحل . ويعتبر ممارسو الطب البديل مرحلة ما قبل المرض (Pre-clinical Stage) التى يسمونها بـ «المريض الفسيولوجى» حالة مرضية حقيقية ليست فى حاجة إلى الانتظار بل إلى العلاج؛ فبمرور الوقت وباهمال هذه المرحلة الحرجة « مرحلة ما قبل المرض» تتحول الاعراض السابقة - التى أثبتت كل الفحوصات حينها أن كل شئ على ما يرام - إلى مرض حقيقى يتم تشخيصه بالفعل !!

لذا يقوم ممارسو الحجامة الألمان خاصةً باستخدام تقنية الحجامة الجافة بوصفها مجرد وسيلة بسيطة - غير مكلفة وغير ضارة إطلاقاً - يمكنها التنبوء بحدوث اضطرابات فى الاتزان البيولوجى أو الحيوى (Homeostasis) (١٤) لم تتحول بعد من طور الاضطراب إلى طور المرض الحقيقى (Pathological Disease)؛ ويعتبرونها بمثابة «حجامة تشخيصية» يمكن من خلالها الكشف المبكر عن خطر مستتر ينتظر أن يسفر عن وجهه فى أى لحظة.

و تقوم فكرة الوقاية بطريقة الحجامة على فحص « نقاط الإنذار» المشار إليها سابقاً بواسطة كؤوس الحجامة الجافة . فبعد تحديد مواضع الاحتقان الدموى ؛ من خلال اللون والجَس والتلمس؛ يطبق المعالج تقنية الحجامة الرطبة (مع الإدماء) على النقاط الداكنة بهدف إنعاش العضو الداخلى المرتبط بها و المُراد حثه على الشفاء؛ فقد تستجيب تلك النقاط للضغط السلبى الذى يجذب الدم المحمل بالمخلفات الحيوية خارج السم ويخلص الدورة الدموية والليمفاوية من ذلك العبء .

١٤- الاتزان البيولوجى أو الحيوي: إتزان داخلى يشير إلى ثبات البيئة الداخلية للكائن الحي. فالعوامل الداخلية والخارجية تعمل باستمرار على تغير حالة الكائن وأنسجته وخلاياه وأعضائه. وعلى الرغم من هذا التعرض المستمر فإن وسائل التوافق والتوازن،وعوامل المقاومة داخل كل من الجهاز العصبى والجهاز الغُدي،تعمل على بقاء حالة الكائن الحى ثابتة ومستقرة برغم العوامل المتغيرة التى يتعرض لها. وقد ظهر مصطلح الاتزان الحيوى أو الهوميوستازيس Homeostasis فى أواخر القرن التاسع عشر،حين صكه والتر كانون W. Canon (١٨٧١- ١٩٤٥م) ليُشير إلى مجموعة من العمليات البيولوجية التى تميل للحفاظ على بعض متغيرات الجسم قرب مستوى الثبات.

هل تعـــلم ؟

أن ما يجهله غالبية الناس عن الحجامة هو أن قيمتها الوقائية تفوق مساهمتها العلاجية فى كل القائمة الطويلة من الأمراض التى تُنسب معالجتها إلى الحجامة .. الحقيقى منها والمزعوم .. !

وهناك ممارسون بحاجة إلى أسبوع لتمييز درجة التغير فى لون الجلد؛ ولتعلم كيفية الجَس والتلمس على النحو الصحيح؛ وهناك آخرون بحاجة إلى أكثر من ذلك بكثير ، ما من قاعدة تسرى على الجميع .. إنها مسألة إحساس خاص وأسلوب . ولكن مع التمرين المنتظم يمكن اكتساب بعض المهارة سريعاً... يمكن أن نستنتج من ذلك أن أسلوب التشخيص بالحجامة ليس أسلوباً فردياً .. إنه نوع من الحوار الرهيف بين الأنسجة وأنامل وعيون المعالج .. إنه نوع من تبادل الرسائل وفن الحوار ... على الممارس أن يجرب إحساسه بتأنٍ عدة مرات و أن يأخذ وقته كاملاً فى كل مرة .

يمكن القول إذاً أن جسمنا يتمتع بذكاء شديد؛ لأنه يُسِرُّ إلينا بسبب المرض؛ وفى الوقت ذاته يهدينا طريقة العلاج . وليس علينا فى هذه الحال سوى أن نجيد التفحص واللمس والإصغاء. وإذا اعتدنا على أن نخصص بعض الوقت لتقييم حيويتنا وصحتنا؛ من خلال استخدام كؤوس الحجامة الجافة لجسّ وملاحظة لون النقاط المتعلقة بأجهزة جسمنا الحيوية؛ وتحديد النقاط التى تستلزم تطبيق الحجامة الرطبة؛ فإننا بذلك نحصل على فائدة كبيرة . وإذا تابع أحدنا تفقد جسمه والتحاور معه؛ فإنه يصبح بمنأى عن الأمراض البسيطة وربما الخطيرة أيضاً؛ أو على الأقل فإنه بذلك سيحصل على فائدة أكبر.

لا تقتلوا البعوض .. جففوا المستنقعات

لا يتفق الهدف من إجراء الحجامة الوقائية مع شئ؛ كما يتفق مع فلسفة الطبيب « رودلف فيرشوه» (رودلف شو) فى أسباب المرض؛ حيث يرى أن الأمراض تبحث عن نسيج مريض لترتع وتنتعش فيه؛ أكثرمن كونها مسبباً حقيقياً للمرض. فكما يبحث البعوض عن المياه الراكدة كمأوى طبيعى يعيش فيه؛ كذلك تجذب الانسجة الواهنة الضعيفة المرض.

ويعد التخلص من السموم Detoxification أحد أشكال الطب البديل التى تقوم بطرد السموم والشوائب الضارة من أجسادنا ، فجميعنا معرضون لمواد قد تكون مسببة للحساسية أو ضارة ويمكن أن تضعف مناعتنا ، سواء كانت سموما فى الهواء أو الطعام أو الماء ،أو زئبقا فى حشوات الأسنان ، أو ألمونيوم فى أوانى الطهى أو مضادات للعرق. وتخليص الجسم من السموم يفيد فى حمايته من الأمراض المحتملة وزيادة طاقته، فالعديد من العلل الشائعة الحادة منها والمزمنة يمكن الشفاء منها عن طريق تطهير الدم وتنقيته من السميات .

و فكرة الحجامة الوقائية تكمن فى تخليص الجسم من الاحتقانات والتجمعات الدموية المعبأة بالسموم ونواتج عمليات الأيض الفائضة؛ عندما لا يعمل الجهاز المناعى والدورة الليمفاوية والدموية بكفاءة فى تخليص الجسم من تلك النفايات؛ فإنها تتراكم وتتفاعل وتتعفن كما يحدث لمستنقع آسن. الجسم المتوازن السليم يكون جهازه المناعى بمثابة (عامل نظافة) يقظ ونشيط يعمل بمهارة فى رفع النفايات بانتظام؛ فلا يسمح بفرصة لتكون المستنقعات؛ وبالتالى فهو لا يجذب البعوض .

الحقيقة أن البعوض لم يسبب الماء الراكد وليس له دور فى أن تصبح المياه راكدة؛ ولكن الماء الراكد هو الذى جذب البعوض. والأمراض كالبعوض تجذبها الأنسجة المحتقنة التى تركد فيها الدورة الدموية وتكتظ بالشوائب والمواد السُميّة الضارة .

وإذا تابع المرض تطوره دون علاج؛ فإن التغيير الذى طرأ على نقاط التشخيص يبدأ فى الظهور بشكل أعراض مرضية حقيقية. ولكن إذا تم حلحلة الاحتقان مبكراً وتخليص الجسم من السموم فى تلك النقاط؛ فقد تحدث استجابة للاستثارة التى تحدثها الحجامة؛ و يعود كل شئ إلى طبيعته. وستختفى تلك الإشارات والبقع الداكنة تلقائياً عند تفحصها فيما بعد. فتقنية الحجامة الوقائية تمكننا ليس فقط من اكتشاف حالة ما قبل المرض وتحديد العضو المريض ؛ بل وتمكننا من متابعة وضع هذا العضو من بداية ضعفه وحتى شفائه التام. كما يمكن استخدام هذه الطريقة أيضاً فى التشخيص لمتابعة الأثر العلاجى للعلاجات التقليدية أيضاً.

ولكن ومع استمرار استعمال الحجامة للوقاية عليك أن تطرح على نفسك بعض الأسئلة الضرورية؛ مثل : « هل تحسن نومي؟ هل خف احساسى بالتعب؟ هل إحساسى بالثقل أثناء الطعام لا يزال مستمراً؟... الخ» . فالشعور بالإرهاق والتعب وإنعدام الشهية؛ وعسر الهضم هى أعراض عامة غير مختصة بحالة مرضية معينة؛ ولكنها فى الوقت نفسه تشير إلى أننا « نحتضن» فى جسمنا شيئاً غير صحى . فإذا خفت هذه الأعراض أو زالت؛ جراء تطبيق الحجامة؛ فهذا دليل على أننا فى طريقنا إلى حل بعض مشكلاتنا الصحية الكامنة.

-أبـدأ ... لا تتجاهل الطب الحديث

قد يتيح لنا التشخيص بواسطة الحجامة فرصة اكتشاف العضو المسئول عن حالة الاضطراب مبكراً؛ إلا أن هذا التشخيص لا يدعى القدرة على تعيين جميع أنواع الاضطرابات؛ كما لا يدعى القدرة على الاستغناء عن التقنيات التشخيصية للطب الحديث . فنحن نعرف الآن أين موضع الخلل ولكننا لا نعرف طبيعته وأسبابه .وفى جميع الأحوال وكقاعدة عامة : لا ينبغى أن يكون تطبيق الحجامة معزولاً عن منظومة الطب الحديث بكل أدواتها وأساليبها .. التشخيصية والعلاجية .. بل يجب أن تشكل إضافة وليس بديلاً عن تلك المنظومة البديعة.

فى الواقع أن الحجامة والطب الحديث يمكن أن يكمل كل منهما عجز الآخر .. فلا أحد ينكر أن مجرد الإطلالة السطحية من الجلد على الأعضاء الداخلية لجسم الإنسان؛ لابد أن تعطى نظرة «افتراضية» وغير دقيقة ولكنها أيضاً غير مؤذية ولا ضرر منها وقد تعطى معلومات ذات مغزى تساعد فى الإشارة إلى بعض الاضطرابات الفسيولوجية التى لايمكن تشخيصها أو التقاطها بواسطة وسائل التشخيص الحديثة . فالطب الحديث عاجز أيضاً؛ فى هذه المرحلة المبكرة من تطور المرض؛ عن تقديم شئ إضافى على صعيد التشخيص؛ طالما لم تظهر على الأعضاء علامات ظاهرية محسوسة مثل التكيس أو التورم أو التقرح. وهى المرحلة التى تُعرف بمرحلة ما قبل المرض (Pre-clinical Stage) حيث تكون أنسجة الجسم مؤهلة للإصابة بالمرض ولكنها ليست مريضة بعد . ففى هذه المرحلة يظل المريض يشكو من أعراض لا تؤكدها الفحوصات المخبرية .

تذكـــر!

لا يمكنك تجاهل الطب الحديث.. كن ذكياً وانتفع بالحجامة والطب الحديث معاً

يُفضل إجراء الفحص العام؛ بواسطة الحجامة التشخيصية؛ على فترات منتظمة كل ثلاثة أشهر تقريباً . ولنفترض أن ممارس الحجامة أخبرك بوجود اضطراب فى منطقة الكبد مثلاً؛ وأن تشخيصك بواسطة الحجامة جاء مطابقاً للحالة التى عينها الطبيب المعالج؛ فماذا تفعل ؟

من غير المفيد إعلام الطبيب بما يعلمه سابقاً .. فى هذه الحالة عليك متابعة العلاج الذى وصفه لك الطبيب؛ وبإمكانك أيضاً تحسين وضعك الصحى من خلال العلاج بالحجامة؛ لأنه سيشكل إضافة مفيدة؛ من دون الإخلال بعلاج الطبيب أو إيقافه؛ فتطبيق الحجامة الرطبة على النقاط المتعلقة بالكبد يعنى مساعدته على تحسين أدائه؛ كما يمثل- بشكلٍ ما - جزءاً من معالجته. لأن نقاط التشخيص تتطابق تشريحياً مع مواقع العُقَدِ السيمباثوية تقريباً؛ وبالتالى فإن تحفيز هذه النقاط يُمْكِنُ أَنْ يؤثر على الأعضاء الداخلية المرتبطة بها ويساعد على تنشيط عملها و استعادة نضارة وحيوية أنسجة الجسم. ومع استمرار العلاج بالطب الحديث؛ عليك الاستمرار فى إجراء الفحص بالحجامة التشخيصة فى خط مواز.

لنفترض حالة أخرى؛ وهى أن التشخيص الذى قمت به بواسطة الحجامة أظهر احتمال وجود مشكلة فى الكليتين .. فماذا تفعل ؟

أنصحك فى هذه الحالة بمراجعة الطبيب المختص. قد يظهر

الطبيب؛ على الأقل فى البداية بعض التحفظ والتشكيك حيال طريقتك فى التشخيص .. هذا غير مهم لأن المشكلة ليست هنا .. المهم أن الطبيب يعلم جيداً أن أعراض اضطراب وظائف الكلى تظهر مثلاً فى ارتفاع ضغط الدم : سوف يراقب إذاً ضغطك بعناية وانتظام . وقد يشير عليك بإجراء الفحوص المخبرية وصور الأشعة المتعلقة بأمراض الكلى .. ومن شأن تلك الفحوصات أن تكشف عن وجود حصوات أو تكيس مثلاً .. وقد لا تكشف عن شئ مطلقاً؛ إذا كانت الحصوات أو التكيسات صغيرة جداً . هذه الحالة الأخيرة تعنى أن المرض لا يزال فى بدايته . وهنا يكون الوقت مناسباً للتدخل بالحجامة؛ حيث يكون تطبيق الحجامة عظيم الفائدة من الناحية الوقائية؛ لأنه قد يحول دون تطور الحالة المرضية.

بعبارة موجزة وعملية؛ يمكن القول أن إستخدام الحجامة التشخيصية فى سبيل الوقاية واكتساب صحة جيدة يمثل استثماراً آمناً ومربحاً إلى حدٍ كبير!

الفصل الخامس

الحجامة والوقاية .. وثالثهما العلم



فى هذا الفصل لن تتعرف فقط على عدد من البحوث والدراسات المتعلقة بتأثير الحجامة على الجهاز المناعى ، بل وستكتشف أيضاً العديد من التفسيرات العلمية المُحتملة لذلك التأثير!

الفصل الخامس

الحجامة والوقاية .. وثالثهما العلم



فى هذا الفصل لن تتعرف فقط على عدد من البحوث والدراسات المتعلقة بتأثير الحجامة على الجهاز المناعى ، بل وستكتشف أيضاً العديد من التفسيرات العلمية المُحتملة لذلك التأثير!

يمكن تشبيه عملية تنقية الدم عبر دورة الشعيرات الدموية الدقيقة فى الجلد (Cutaneous Capillary Circulation) بتلك التى تتم فى دورة الشعيرات الدموية الدقيقة المُبطنة للحويصلات الهوائية للرئتين (Alveolar Capillary Circulation) وهى أحد أدق وأهم الحقائق الفسيولوجية التى تفسر بقاء الكائنات الحية وأشدها حساسية. فأثناء عملية التنفس؛ تتم عبر جدران الحويصلات الهوائية عملية تخليص الدم الوريدى من فائض الحامضية – ممثلا فى ثانى أوكسيد الكربون CO ٢ . والفارق الطبيعى بين مقياس درجة الحموضة « pH » فى الدم الوريدى والدم الشريانى يساوى تقريبا ١٦ر٠٪ ، وهذا الفارق الحاسم يجب أن يظل ثابتاً ليضمن سلامة التوازن الحيوى والمناعى فى الجسم، فطالما بقيت هذه القيمة ثابتة فإن الجسم يظل قادرا على تعويض أو تعديل الحامضية الزائدة أو القلوية الزائدة . اما إذا زادت حامضية الدم عن حدها الطبيعى فإن ذلك يربك انتظام عمليات التبادل الحيوى بين الخلايا ويؤدى إلى تعطيل عمل بعض الإنزيمات المسئولة عن التوازن الحيوى فى الأنسجة.. ما يؤدى إلى عرقلة التوازن الهرمونى والمناعى على مستوى الخلايا . ولكن كيف يحافظ الجسم على ثبات درجة الفرق بين حامضية الدم الوريدى والشريانى ؟

عبقرية التوازن الحامضى القلــوى

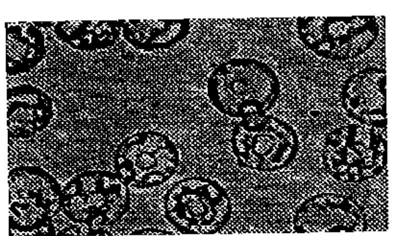
يحدث ذلك بفضل نظام بيولوجى كيميائى حاسم يعرف بنظام الرصد والتنظيم Buffer Systems؛ حيث يعمل كمخفف الصدمات فى السيارة أو القطار – يقوم برصد أى زيادة فى درجة الحامضية ويقوم بمعادلتها فوراً ليضمن المحافظة على ثبات درجة حامضية الدم . يعمل

نظام الرصد هذا بشكل أساسى فى الرئتين والكليتين؛ ولكن إلى جانب أنظمة الرصد والتنظيم الرئيسية تلك؛ هناك جهاز رصد وتنظيم آخر قلما نلتفت إليه على الرغم من كونه فى غاية الأهمية بالنسبة لجسم الانسان؛ حيث يقوم بتنظيم والحفاظ على التوازن الحامضى القلوى على مستوى الجسم كله ، وهذه الوظيفة التنظيمية الخطيرة تقوم بها كريات الدم الحمراء حين تقوم بعملية تخزين البروتينات داخلها . فالبروتينات تخلق تفاعلات حمضية فى محيطها وان بقيت بكميات فائضة فى مجرى الدم؛ تتحول إلى أحماض مثل : حمض اللاكتيك Lactic acid ما يؤدى بالمجمل إلى زيادة حامضية الدم . ولهذا تقوم كريات الدم الحمراء بتنفيذ عملية فدائية لحماية مجرى الدم والحفاظ على درجة الحامضية المثالية لسائل الدم . تتمثل تلك العملية الانتحارية فى تخزين فائض البروتينات بداخلها؛ ما يؤدى إلى زيادة حامضية الكريات الحمراء وتضخم حجمها وانتفاخها .

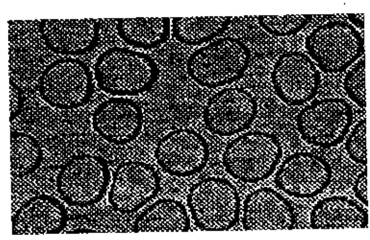
ومن المعروف أن متوسط ما يحتاجه جسم الانسان من البروتينات لا يتعدى الـ ٤٠ جم يوميا ، إلا أن أحداً لا يلتزم بهذه النسبة ، فعلى سبيل المثال يتناول سكان وسط أوروبا نحو ٢٤٠ جم من البروتينات يوميا ، أى ما يعادل ستة أضعاف الكمية الموصى بها صحياً! . ونظرا لأن البروتينات عبارة عن أحماض فى ذاتها ولأنها تخلق تفاعلات حمضية فى محيطها ، فعاجلا أم آجلا؛ لابد أن يُرهق نظام الرصد والتنظيم داخل الرئتين والكليتين وتقل كفاءته بسبب الأحماض الناتجة عن التفاعلات الكيميائية الحيوية. وهذا بدوره يؤدى إلى تخزين البروتينات الزائدة داخل كريات الدم الحمراء فى محاولة لاحتواء الحامضية الفائضة؛ ومع

تفاقم عملية تخزين البروتينات داخل كريات الدم الحمراء؛ تترسب المواد الحمضية داخلها تتصلب جدرانها ويتشويه شكلها.

وكان من المفيد مقارنة شكل كريات الدم الحمراء المأخوذة من دم الحجامة بتلك المأخوذة من الدم الوريدى لمعرفة أثر هذا النوع من العلاج فى تخليص الجسم من السموم و عوادم العمليات الحيوية غير المرغوب بها . وقد أظهرت الدراسة التى نشرت فى كتاب « الحجامة الدواء العجيب»(١) تقريراً أظهر نتيجة المقارنة بين الدم الوريدى ودم الشعيرات الدموية الذى تمتصه كؤوس الحجامة؛ وأظهرت النتائج تشوهاً ملحوظاً فى كريات الدم الحمراء الممتصة بالحجامة مقارنةً بكريات الدم الطبيعية . ونشر الكتاب الصور التالية التى توضح الفرق بين الكرية الحمراء الطبيعية والاخرى المشوهة التى تخرج مع دم الحجامة .



«Erythrocytes from cupped blood»
منظر لكريات الدم الحمراء فى دم الحجامة



«Normal erythrocytes»
منظر كريات الدم الحمراء الطبيعية

١- عبد القادر يحيى الشهير بالديرانى : الدواء العجيب (الحجامة) - دار نور البشير- دمشق- سوريا -١٩٩٩م.

كيف تتكون بؤرة اضطراب التوازن البيولوجي؟

عندما تتشوه كريات الدم الحمراء وتتضخم في الحجم؛ تزداد لزوجة وكثافة الدم وقد تتسبب شيئا فشيئا في اختناق الشعيرات الدموية الدقيقة وتعطيل عملها؛ حيث تعرقل عملية تدفق الدم الطازج المؤكسج – المحمل بالاوكسجين – وهذا الركود في الدورة الدموية الدقيقة يؤدى بدوره إلى تسرب الماء عبر الجدار المبطن للشعيرات الدموية وحدوث ما يعرف طبيا بالاوديما (Edema) وهي عبارة عن ارتشاح أو تورم مائي، يؤدى إلى مزيد من إعاقة عملية نقل وتوصيل المعلومات داخل الوحدة الأساسية لنظام التوازن الحيوى The basic regulatory system. ما ينتهى بحالة من الخلل والاضطراب في التوازن الحيوى داخل النسيج (tissue homeostasis). من جهة أخرى؛ تزيد تلك البيئة الغنية بالمخلفات والاحتقان والارتشاح من قابلية الاصابة بالميكروبات وحدوث الالتهابات؛ حيث تمثل تربة خصبة لأسباب الأمراض المختلفة . وهكذا تتحول هذه المنطقة من نسيج الجلد إلى بؤرة لتخزين السموم والمخلفات الحيوية تربك التوازن الحيوي.

وقد كان العالم الألمانى ألفريد بيشنغر(٢) (AlfredPischinger) أول من أشار إلى الوحدة (المصفوفة) الأساسية لنظام التوازن الحيوى (The basic regulatory system) وأول من أطلق عليها ذلك الاسم وحدد وظيفتها . وتقوم نظريته على افتراض أنه لا يوجد اتصال فيزيائى مباشر بين الخلايا؛ ولكنها تتحدث فيما بينها وتتحدث إلى

٢- ألفريد بيشنغر (١٨٩٩-١٩٨٢) : كَانَ أول عالم قام بتطوير نظرية للطب الشمولي(holistic medicine) مستنداً على نموذج الوحدة الأساسية لنظام التوازن الحيوى (The basic regulatory system) الذى ينظم العلاقة بين الخلايا ومحيطها الخارجي extracellular matrix .

السائل الخلوى المحيط بها من خلال رسائل وإشارات كيميائية وأن هذا التواصل يتم بكفاءة وانسيابية ما دامت العلاقة بين الخلايا ومحيطها الذى تتواجد فيه متوازنة . وهو أول من أشار إلى أهمية المحيط الخارجى للخلايا Extracellular matrix (ECM) ودوره فى إحداث التوازن الحيوى وضمان استقرار البيئة الخلوية بين الوسط الخارجى والوسط الداخلى . ولتوضيح ذلك أقتبس هذه المعلومات للدكتور بيشنجر :

« يتصل النسيج القاعدى Base substance المكون من (بروتيوجليكانات و جليكوبروتينات وكولاجين والاستين) بالغدد الصماء عبر الشعيرات الدموية ، كما يتصل بواسطة شبكة من الأعصاب الطرفية بالجهاز العصبى المركزى ، ولأن الجهاز العصبى المركزى يتصل بجهاز الغدد الصماء فى جذع الدماغ Brain stem ، فإنه يمكن التأثير على مراكز التنسيق بينهما من خلال ذلك النسيج القاعدى . فالشعيرات الدموية الدقيقة والأعصاب الطرفية النامية وخلايا النسيج الضام Connective tissue cells يؤثر كل منهما فى الآخر عن طريق نقل المعلومات (بواسطة خلايا النسيج الضام المتحركة مثل الخلايا البالعة و الكريات البيضاء) ومن خلال ما تفرزه الخلايا من وسائط كيميائية كالبروستاجلاندين والانترلوكين والانترفيرون ومحللات البروتينات ومضاداتها إلخ ..كل هذه الاتصالات تنتج جهازا تواصليا ضخما ومعقدا لنقل الاشارات الكيميائية و التفاعل بين الخلايا . ونحن نجد فى المراجع الطبية التاريخية شرحا كلاسيكيا شاملاً لحركة السوائل Fluid movement ؛ ولكن أهمية وميزة هذا النظام من العمل الجماعى بين الأنسجة والخلايا والسوائل المحيطة بها؛ تكمن فى ترابط أفراد هذا

النظام فيما بينهم وفى قدرة النظام مجتمعاً على التكيف وتحسين الأداء واكتساب خصائص جديدة وهذا ما لايمكن أن يتاح فى حال عمل كل مكون من مكونات هذا النظام بصفاته الفردية »(٣).

الصورة تعرض الوحدة (المصفوفة) الأساسية لنظام التوازن الحيوى The Basic Regulatory System . و توضح العلاقة التبادلية بين مكوناته (موضحة بالأسهم) بين :

أولا : الشعيرات الدموية الدقيقة (٨)

ثانيا : الكتلة القلوية القاعدية المكونة من «بروتيوجليكينات وجليكوبروتينات(١)

وكولاجين (٢)

والاستين(٣)

ثالثا : الخلاياالموجودة فى النسيج الضام مثل :

الخلايا البالعة (٤)

خلايا الجهاز المناعى (٥)

الخلايا الليفية (٦)

رابعا : الأعصاب الطرفية النامية (٧)

صورة تُظهر الوحدة الأساسية لنظام التوازن الحيوى وفقا لتصور د. بيشينجر

3- Alfred Pischinger: The Extracellular Matrix and Ground Regulation : Basis for a Holistic Biological Medicine . Edited by Hartmut Heine, Translated by Ingeborg Eibl. ByNorth Atlantic Book, 2007

خامسا : الغشاء القاعدى (٩)

Basement membrane

سادسا : الخلايا الحشوية للعضو (١٠)

Organ parenchyma cells

ومن ملاحظات بيشينجر و الصوره فى الأعلى يمكن استنتاج أن الشعيرات الدموية الدقيقة تلعب دورا هاما وحاسما فى عمل نظام التوازن الأساسى . ويظهر علميا قوة ترابط أجزاء ذلك النظام بحيث لا يجدى مطلقا اعتبار كل مكون بمفرده . ومع ذلك يظل من الضرورى إختيار مكون واحد من مكونات نظام التوازن الأساسى لدراسته بهدف تطبيق العلاج بهذه النظرية وهذا المكون الذى سندرسه هو : الشعيرات الدموية ! .

تذكـــر

كون الحجامة تُشكل أحد وسائل تقوية المناعة؛ لا يعنى بالضرورة أنها الوسيلة الوحيدة أو أنها الوسيلة الأفضل والأكثر نفعاً وتميزاً فلكل إنسان ما يناسب طبيعة جسمه التى قد تستجيب أفضل لوسيلة دون غيرها !

كيف يمكن أن تدعم الحجامة جهازك المناعى ؟

تقوم فكرة التشخيص بواسطة الحجامة على الربط بين التغير الظاهرى الحادث فى لون الجلد والعضو الداخلى المُراد فحصه أو حثه على الشفاء . حيث تعكس بقعة الجلد الداكنة والقاتمة ركود حركة الدورة الدموية فى الأنسجة التحتية الذى غالباً ما يؤثر بدوره على

الدورة الليمفاوية و عمليات الأيض وعمليات التمثيل الصحيح فى هذه الأنسجة ، وبهذا يصبح النسيج الحيوى بشكل عام فى مرحلة انتظار الإصابة بالمرض أو فى طريقه إلى المرض . وكلما ازدادت قتامة البقعة الجلدية دل ذلك على شدة الاضطراب فى الأعضاء المقابلة لموضع الحجامة (Organ related Cupping Areas) ، وعندما لا تظهر أية تغيرات فى لون الجلد بعد تطبيق الحجامة؛ أو عندما يحدث تغير طفيف ومؤقت فى لون الجلد فهذا يدل على صحة جيدة .

يناقش هذا الفصل من الكتاب الأسس العلمية المحتملة لتفسير آلية عمل الحجامة الوقائية. ويحاول أن يشرح لك –بأبسط الكلمات الممكنة- كيف يمكن استخدام العلاج بالحجامة الحديثة لترميم أجسادنا وتنشيط الوظائف الحيوية للجسم عن طريق التخلص من العوادم السمية والعناصر المدمرة الزائدة من اجسامنا عبر سطح الجلد ومن ثم تجنيب الكليتين والطحال والكبد تبعات العمل الشاق فالعلاج الفعال لا يتحقق دون التخلص من العوائق والانسدادات الناتجة عن تلك العوادم .. ولندع النتائج المفيدة تتحدث عن نفسها بنفسها وتثبت ما تتصف به من فاعلية ستشعرالمهتمين بسلامة الانسان بالرضا الكبيرعن الحجامة الحديثة لما تتمتع به من كفاءة لا حدود لها فى علاج الامراض والوقاية منها..

كيف يمكننا التشخيص عن طريق الجلد ؟

الواقع أن لأعضائنا لغة خاصة تخاطبنا بها؛ هى لغة الاحتقان الدموى؛ فالضغط السلبى الناتج عن تطبيق كؤوس الحجامة يمكن أن يتيح لنا فرصة لتشخيص مرحلة ما قبل المرض؛ وذلك من خلال اعطاء

فكرة عن مدى انسيابية وسلامة الدورة الدموية . ويمكن القول أن الأمور تجرى على النحو التالى :

تتجمع المواد السُميّة والأحماض الزائدة الناتجة عن تفاعلات الجسم الحيوية أو الملوثات البيئية و مخلفات العمليات الالتهابية (Inflammatory Process) ألخ .. فى طبقة الشعيرات الدموية الدقيقة تحت الجلد (Cutaneous Capillary Circulation) والطبقات الداخلية الأعمق من النسيج الضام (Connective Tissue) .

يؤدى تجمع هذه السموم بهذه الطبقة إلى إعاقة وظائف الجهاز الليمفاوى والمناعى وعرقلة عملية فلترة الدم من خلال الشعيرات الدموية الدقيقة تحت الجلد .

عند اختبار الجلد بقوة الامتصاص التى يُحدثها الضغط السلبى لكأس الحجامة؛ يعطى لون الدم المحتقن تحت الجلد بعد نزع كأس الحجامة (Extravasated subcutaneous blood) صورة عن الصحة العامة للشخص المحجوم ومدى حيوية الدورة الدموية والليمفاوية وحالة وظائف الأعضاء وتحديد الأجهزة المصابة بإضطرابات وظيفية من خلال التغيرفى لون البقع الدائرية التى تنتج عن الضغط السلبى لكؤوس الحجامة على الجلد؛ وكذلك من خلال الجَس والتلمس؛ يمكن الوصول إلى تقدير مبدئى لوظيفة العضو المراد فحصه . حيث يمكن أن يشير لون البقعة الجلدية التى يخلفها ضغط الكأس إلى نوع القصور الوظيفى الذى يشتكى منه عضو معين، وهكذا يعمل الجلد كمرآة تعكس

داخل الجسم؛ وتعمل البقع التى يُحدثها كأس الحجامة كعيون يرى من خلالها الطبيب نظرة مبدئية على حالة المريض.

كيف يمكن تفسير ذلك ؟

كان طبيب الأعصاب السِّير (هنرى هيد Henry Head) الذى كان يعمل فى لندن أول من وَصف الإشارات المنعكسة للمرض (The reflex signs of disease)؛ والتى عُرفت باسمه فيما بعد (مناطق هيد Head's Zones) . حيث شرح كَيفَ ينعْكس أيّ إضطراب فى الوظيفة الداخلية بسرعة إلى السطح الخارجي للجسم ،معلناً بذلك عن جرس إنذار بالفوضى والاضطراب الداخلي(٤).

طبقاً لنظرية السير هنرى ،فإن الأعضاء الداخلية لَيستْ مجهزة جيداً بمُستقبلات الألم؛ لذلك فعندما تضعف أو تضطرب وظائفها؛ فإنها لا تستطيع إرْسال إشارة الألم إلى مناطق الإدراك فى الدماغ. وبدلاً من ذلك،فإنها ترسل رسائلَ (صرخات) مستعجلةَ تعبر بها عن إنزعاجها إلى الجلد (٥)(dermatome) (يَرى تينةً.) ،والنسيج تحت الجلد (sclerotomes(٦) والعضلات (myotomes(٧)) فى القطعة الجلدية (segment) التى المقابلة لكل عضو . و فى هذه المناطق الجلدية (Reflex Zones) يتم استقبال الألم أولاً. حيث يُعتقد أن هذه المناطق الجلدية ترتبط فسيولوجياً وتشريحياً بالأعضاء الداخلية

4- Head H 1920 Disorders of sensation in the skin arising from visceral disease. Studies in Neurology. Oxford University Press, London, p 328

٥- الخلايا الأولية المكونة للجلد : القطع الجلدية العضلية ذات التعصيب المشترك

٦- الخلايا الأولية المكونة للعظام : القطع العظمية

٧- الخلايا الأولية المكونة للعضلات

المُرتبطة بها من خلال العُقَد العصبية للسلسة السيمباثوية اللاإرادية (sympathetic chain ganglia) . بمقتضى هذا الاشتراك فإن أى تنبيه للجلد فى منطقة ما من الجسم يؤثر على الأحشاء الداخلية المقابلة لهذا الجزء من الجلد والعكس صحيح وتُعرف تلك المناطق من الجلد بـ المناطق الانعكاسية (Reflex zone).

ويمكن أيضاً استخدام النظرية الفسيولوجية المعروفة بـ ردود الفعل الانعكاسية (segmental reflex arcs) التى تقوم عليها كل تطبيقات طب المنعكسات(Reflexology) لشرح ذات العلاقة بين منطقة معينة من سطح الجلد ووظائف الأعضاء الداخلية؛ حيث تقوم هذه النظرية على حقيقية تشريحية جنينية مفادها أن كل عضو من الأحشاء الداخلية لجسم الإنسان تم تخليقه من منطقة معينة بالجلد وأن اتصالاً عصبياً لايزال مشتركاً بينهما رغم إنفصال العضو عن الجلد أثناء مراحل التطور الجنينى المختلفة. وعلى ذلك؛ فإن الأحشاء الداخلية تشترك مع أجزاء معينة من جلد الإنسان فى مكان دخول الأعصاب المغذية لها فى النخاع الشوكى أو النخاع المستطيل أو فى المخ المتوسط؛ ويمكن توظيف هذه النظرية باستخدام تقنية الحجامة التى تقوم على تنبيه الجلد باستخدام قوة الضغط السلبى؛ لإلقاء نظرة – وإن كانت غير دقيقة - من خلال الجلد على وظائف الجسم الداخلية .

«نقاط الإنذار» على الظهر . . عيون الجلد على الداخل

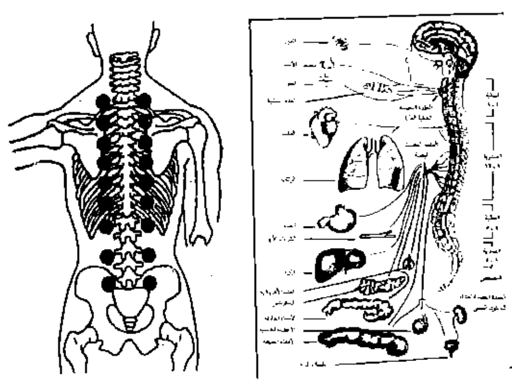
يعد تطبيق الحجامة على الظهر أفضل موضع للعلاج والتشخيص معا ، فهذه المنطقة هى الأفضل للتواصل مع الجهاز العصبى اللاإرادى autonomic nervous system حيث يمكن التأثير على الأعضاء

الداخلية . ولأن الجهاز العصبى اللاإرادى متداخل بشدة فقد ظهرت عبر القرون الماضية العديد من الخرائط التى توضح نقاط الانعكاس Reflex Zones على الظهر .

وفى عام ١٨٩٣م؛ تمكن السّير (هنرى هيد) من تحديد مناطق معينة من الجلد تمتد على القطع الجلدية العضلية ذات التعصيب المشترك dermatomes؛ يظهر عليها الانعكاسات الحشوية الجلدية (viscerocutaneous reflex) بشكل أقوى وأوضح ما يكون . حيث تمثل القطعة الجلدية الأكثر ارتباطاً برد الفعل الانعكاسى بين الجلد والأحشاء الداخلية . وقام برسم خرائط توضح تلك المناطق .

ويفترض ممارسو «الحجامة التشخيصية» أنّ مجموعة نقاط الحجامة التى على الظهر؛ وهى أهم نقاط الحجامة؛ تتفق تشريحياً ووظيفياً مع مناطق هيد (Head's Zones) لدرجة كبيرة. حيث تُشكّلُ نقاط الظهر «علامات سطحية» تتوافق بدقة كافية مع مواقع العُقَد السيمباثوية . حيث تتكون هذه المجموعة منْ صفينِ طوليين من النقاط المتدة بشكل متوازِ على طول العمود الفقري ، ويبعد كل صف مسافة إصبع ونصْف عن الأطراف المُستدقّة لفقرات العمود الفقري. ومن المُثير مُلاحَظَة أن كُلّ نقطة – تقريباً- منْ نقاط الظهر تقع بالضبط على عقدة معيّنة من العُقد السيمباثوية (sympathetic ganglion) الموزعة على جانبى العمود الفقرى؛ وكل نقطة منها تتعلق بعضو معين؛ وأحياناً بمجموعة من الأعضاء(مثلاً النقطة المتعلقة بالكليتين والغدة الكظرية؛ أو نقطة (مو MU) المتعلقة بالطحال والبنكرياس) . حيث ترتَبطُ كل نقطة–عصبياً – بعضو داخلى خاص بها . وهذه النقاط هى ذاتها نقاط الوخز بالإبر؛ حيث يغرز الطبيب الصينى إبره فيها بغرض التشخيص أو

العلاج؛ أو للغايتين معاً فى معظم الأحيان . فوفقاً للطب الصينى؛ من خلال تلك النقاط يمكن أيضا معالجة مسارات الطاقة Meridians الوثيقة الصلة بتلك النقاط.



إلى اليمين : خريطة توضح ثلاث مناطق رئيسية للحجامة على الظهر إلى اليسار نقاط الظهر (٨)

وقد تطورت خرائط توضيحية كثيرة تشرح مواضع تلك النقاط على يد عدد من العلماء الصينيين والألمان ، ومن ثم يمكننا متابعة العلاج عن طريق معالجة المسار المتصل بتلك النقطة وفقا لنظريات الطب الصينى . إلا أنه من الافضل اتباع الخرائط الألمانية لسبب بسيط أنها تتوافق إلى حد كبير مع علوم التشريح والفسيولوجيا التى تُدرس فى كليات الطب الرسمية حول العالم وبالتالى يمكن للأطباء استيعابها وتطبيقها بما ينسجم مع المنظومة المعلوماتية التى تلقوها . فوفقاً للمدرسة الألمانية فى استخدام الحجامة؛ فإن الحجامة تعمل ليس على مسارات الطاقة - كما تفعل المدرسة الصينية – ولكن على مقاطع الجلد الانعكاسية (Reflex

8- From Japanese Acupuncture book by: Birch and Ida; 1998.

Zone) . وتتطابق نقاط الحجامة مع مناطق الانعكاس عما يعرف بنقاط المرجعية Reference points . وبوضع الكؤوس على نقاط المرجعية تلك و الموضحة بالصورة يمكننا تحديد النقطة ذات التفاعل الاقوى (التى تحدث تغيرا ملحوظا فى لون الجلد) . حيث تقوم فكرة التشخيص من خلال لون الجلد على الاعتقاد بأن كلٰ عضو داخل الجسم له مقطع جلدى يمثله على سطح الجلد؛ ومن ثم يظهر لكل عضو رد فعل على الجلد يختلف بحسب الحالة الفسيولوجية لذلك العضو . ويرى المؤيدون لتلك النظرية أن الصحة تعتمد بشكل رئيسى على نقاوة الدم. لذا؛ فعند حدوث خلل فى الوظيفة الفسيولوجية لعضو ما،فإن القطعة من الجلد التى ترتبط بذلك العضو ينعكس عليها ذلك الخلل بسبب الضغط السلبى الذى يحدثه كأس الحجامة؛ وتظهر عليها تغيرات فسيولوجية بشكل تلقائى . فالنقاط التى تُظهر لوناً داكناً تُشير – بصورة غير دقيقة- إلى خلل ما فى وظيفة العضو المرتبط بها عصبيا. وكلما كثر عدد النقاط الداكنة دلّ ذلك على وجود أكثر من مشكلة وتضرر أكثر من عضو . اما إذا لم تُظهر مواضع الحجامة الجافة على الظهر أى تغير ملحوظ فى لون الجلد ،فهذا يُشيرُ إلى حالة صحية جيدة(٩).

تمكننا طريقة التشخيص بالحجامة؛ من معرفة الأجهزة الضعيفة فى الجسم . قد لا تكون تلك الأجهزة قد أُصيبت بعد باضطرابات خطيرة؛ ولكنها فى ذات الوقت تبعث إلينا؛ بطريقة ما؛ رسالة مفادها :

« انتبه !... أنا فى حالة ضعف؛ وأخشى أن يحدث شئ مزعج !..»

9- Abele J (1998): Das Schropfen Einebewahrte Alternative Helmethode, Gustavfischer Uím Stutgart Jonn Lubeck.

عيون على كل لون

هذه البقع الملونة والعلامات التى تظهر على الجلد؛ تشبه إشارات الإنذار وعلامات التنبيه الضوئية التى يشاهدها السائق أمامه على لوحة القيادة .. فعلينا إذن أن نرفع غطاء المحرك للاطلاع على أسباب تلك الانذارات وإصلاح الأعطال .. وفى محاولة لوضع هذه الفكرة قيد البحث والملاحظة العلمية؛ قام الباحث باولو دى تارسو (Paulo de Tarso Costa dos Santos) المتخصص فى العلاج بالطاقة الحيوية بتطوير جهاز يدمج بين المعالجة بالرنين الحيوى وكؤوس الحجامة التقليدية؛ واستخدمه لتحديد مواضع الحجامة التى تخلف بقعا داكنة على الجلد تشير إلى حاجة العضو المقابل لها إلى التخلص من السموم Detoxification (١٠). حدث ذلك فى ألمانيا عام ١٩٩٣ م.

وأوضح الباحث الصورة التالية كمثال جيد لتفاعل الجلد مع الحجامة ، وقدرته على أن يكون انعكاساً لحالة التوازن البيولوجى للأعضاء الداخلية . فقد تم تطبيق كأس الحجامة بنفس قوة الضغط على المريضين . والصورة على اليسار تظهر رجلا مسنا عمره ١١٥عاما تم تطبيق الكأس على جلده دون أن تظهر أية تغيرات فى لون الجلد ما يشير إلى حالة صحية جيدة ، بينما الصورة على اليمين لرجل عمره ٦٠ عاما فقط مصاب بارتفاع حمض البوليك (النقرس) ويعانى من إلتهاب فى

10- Hans Brugemann :The fascinating development of bioresonance therapy: Discoveries, research, ideas and hard work. REGUMED Institut far Regulative Medizin, 82166 Grafelfing • RTI Volume 29 • April 2005

الأكياس الزلالية للمفاصل (Bursitis) (١١) ومشاكل فى الكلى(١٢).

years of age and healthy ١١٥	years of age with bursitis and ٦٠ kidney complaints




ترسل أجسامنا؛ صرخات استغاثة ... ولكن آذاننا الصماء لا تسمعها فى معظم الأحيان!

كيف يمكن أن تساعد الحجامة ؟

تقوم الحجامة بتنقية الدم من خلال الشعيرات الدموية فى الجلد وتخلص البقعة من الجلد التى تعمل عليها من السموم؛ عن طريق طرد الاخلاط الزائدة وتخفيف الاحتقان . وربما ضبط حامضية وقلوية الدم ومعادلتها أيضاً؛ فالفراغ الذى يحدثه سحب الهواء من كأس الحجامة يقوم بجذب خلايا الدم الحمراء المتضخمة (المشوهة) وبهذا ينشط ويجدد الكتلة الأساسية basic substance الموجودة تحت سطح الجلد والدم هو الوسط الذى تتم فيه كافة التفاعلات والتغيرات الحيوية .

١١- تسمى أيضاً التهاب الكيس المصلى أو التهاب الجراب أو التهاب كبسولات سائل المفاصل أو التهاب الصرّة،وهى حالة مؤلمة تصيب الأجربة أو الأكياس الزلالية bursae الصغيرة المليئة بالسوائل. تحدث فى الغالب بسبب الضغوط الكبيرة الواقعة على المفاصل

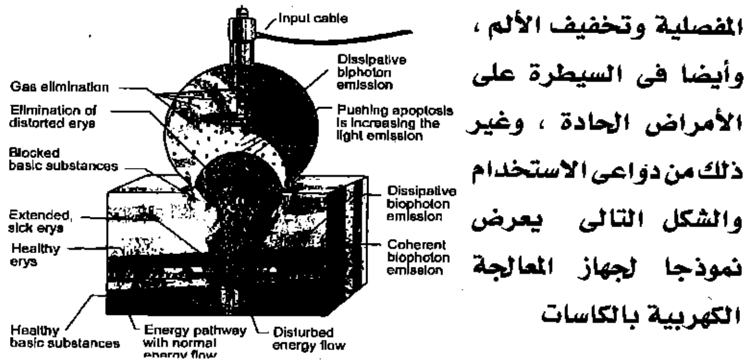
١٢- الأشخاص المصابون بالنقرس يعانون غالباً من أمراض الكلى كجزء من ذلك المرض . والأشخاص الأكبر سناً يكونون أكثر عرضة لإلتهاب الأكياس الزلالية للمفاصل . فعندما يزداد حمض البوليك يعمل على تبلور بولات الصوديوم فى الأنسجة الرخوة و المفاصل و يؤدى الى التهابات فى المفاصل، وزيادة بولات الصوديوم تترسب ايضا فى الكلية مما يؤدى الى حصوات الكلي

كما تتيح هذه الطريقة الرائعة فرصة للتخلص من الغازات الناتجة عن عمليات الايض gassy metabolic products من المناطق غير المتوازنة بيولوجياً ، والمناطق المؤلمة؛ إذ أن المواد السمية والوسائط الكيميائية التى تسبب الالم تتجمع فى الانسجة المريضة، والتخلص منها يمثل جزءاً حيوياً وجوهرياً من عملية التخلص من السموم Detoxification) التى تعرقل عمل جهاز المناعة وتضعف مقاومة الإنسان للأمراض.

وفى بحثه الأول من نوعه؛ قام الباحث باولو دى تارسو (Paulo de Tarso Costa dos Santos) بشرح فرضية لتفسير كيفية عمل كأس الحجامة؛ فذكر أن كأس الحجامة يُحدث على سطح الجلد تأثيراً مشابها لعمل الحويصلات الرئوية فى الرئة (alveoli) والتى تحدث ضغطا سلبيا على الدم الوريدى المحمل بثانى أوكسيد الكربون لاستخلاص وامتصاص ذلك الغاز الناتج عن العمليات الحيوية داخل الخلايا وطرده خارج الجسم للتخلص منه عن طريق عملية الزفير، ولا يتم ذلك إلا بوجود ضغط سلبى –ve pressure داخل الحويصلات . وهو ما يحدث بالضبط عند تطبيق كأس الحجامة (المحجم) على سطح الجلد إذ يقوم بعملية جذب انتقائية (selective) حيث تمتص الأحماض والمواد القاعدية الزائدة من الشعيرات الدموية الدقيقة .

واستنادا على هذه الفرضية؛ تمكن الباحث من تصنيع جهاز هو الأول من نوعه الذى دمج بين كأس الحجامة التقليدى والاقطاب الكهربائية وأطلق عليه اسم (جهاز المعالجة الكهربية بالكاسات) يعتمد على القواعد الأساسية لممارسة الحجامة والخبرة العملية بعلم الكهرباء الحيوية ،

وأثبتت نتائج تجريب الجهاز انتظام مرور الطاقة وزيادة تدفق الدم فى النسيج المُعالج . وأنه علاج يفيد فى معالجة الأمراض المزمنة كالالتهابات المفصلية وتخفيف الألم ، وأيضا فى السيطرة على الأمراض الحادة ، وغير ذلك من دواعى الاستخدام والشكل التالى يعرض نموذجا لجهاز المعالجة الكهربية بالكاسات



جهاز للحجامة يجمع بين كأس الحجامة والأقطاب الكهربية

ما تأثير ذلك على جهاز المناعة ؟

عندما تضطرب حامضية الدم ويتعطل نظام التوازن الحيوى بفعل السموم والمخلفات المتراكمة؛ فإن جهاز المناعة (عامل النظافة) المسئول عن تنقية الدم من الأجسام الغريبة يصاب بالإرهاق لفرط العمل وكثرة المخلفات البيوكيميائية . من جهة أخرى فإن تلك الجزيئات البروتينية المتكدسة تتعرض لتغيرات كيميائية وتتفاعل مع محيطها بما يجعلها تبدو لجهاز المناعة كاجسام غريبة؛ وهذا يعزز فرص التعرض للإصابة بأمراض المناعة الذاتية .

يسهم الجهاز المناعى أيضاً –على نحو معقد - فى الحفاظ على التوازن الهرمونى والعصبى من خلال وسائط كيميائية معينة تفرزها خلايا الجهاز المناعى ولها مستقبلات مشتركة على الخلايا العصبية والغدد الصماء . ولهذا فعندما يحدث انسداد (Blokage) فى نظام التوازن

الحيوى فإن تلك الإشارات الكيميائية تتعثر وترتبك ولا بد أن ينعكس ذلك على فعالية وكفاءة جهاز المناعة .

وعند إجراء الحجامة فإن جهاز المناعة يستعيد عافيته بعد أن تخلص من عبء السموم المزمنة التى أرهقته واستنفدت قواه زمناً طويلاً؛ وبالتالى فالحجامة تعمل على استعادة وظائف جسم الطبيعية وتعزز الوقاية من الامراض - وتعالج بعضها - وتتيح الفرصة للجسم لاستعادة عافيته النوعية والتمتع بصحة أفضل ، والشعور بالمزيد من العافية والحيوية . وتحقيق مستوى مقبول من الراحة والسكينة التى تشع وتنتشر من داخل الذات الانسانية عندما تنجح فى تخليص الجسم من أوجاعه وآلامه . . وهى علاوة على ذلك؛ وسيلة فعالة وآمنة تماماً.

إن إعادة النشاط للخلايا و الأنسجة هو الهدف من عملية الحجامة و إستثارة الطاقة هو الوسيلة، وإنعاش الدورة الدموية و الليمفاوية هو نتاج تلك الإستثارة للطاقة و بفضل هذه الطريقة الرائعة لن يتمكن المرض من الجسم ،لانه لن يصادف ركودا فى الطاقة بل يجد الأنسجة و قد انتعشت ودبت بها الحيوية وهكذا يتراجع الركود و المرض معا.

« لقد توقفت عن استعمال الأدوية فى معالجة المرضى عندما بدأت بإعادة النظر فى حقيقة قديمة وهى أن الطبيعة هى التى تشفى فى الحقيقة، وذلك باستعمال الدفاعات الطبيعية فى الجسم. دور الطبيب هو المساعدة فى هذا الشفاء بالتعاون مع الطبيعة وليس بالحلول محل الطبيعة. والطبيعة تشفى تدريجيا كما تنمو الشجرة تدريجيا وليس فجأة كما يروج للأدوية الكيماوية».

الطبيب هنرى بيلر

ما الذى تقوله البحوث العلمية الحديثة؟

لتَقييم الدور الذى يمكن أن تلعبه الحجامة فى دعم الجهاز المناعى؛ وفى إطار تحضيرى لأطروحة الماجستير؛ قُمتُ بعمل مسح شامل مستعملة العديد من محركات البحث (Search Engine) الطبية المتخصصة والعامة مثل محرك البحث الشهير جوجل (Google search engine) تحت العنوان « cupping therapy » . بالإضافة للبحث المكتبى فى مكتبات كليات الطب ومراكز بحوث الطب البديل . وعثرتُ بالفعل على عدد كبير منْ التقارير المخبرية والسريرية التى وَصفتْ بإسهاب كفاءة الحجامة فى تعزيز أداء الجهاز المناعى وتأثيرها فى حدوث التعديل المناعى immunomodulatory من خلال تأثيرها على العمليات المناعية فى أمراض المناعة الذاتية..

وبالإضافة إلى البحوث التى تناولت تأثير الحجامة على المناعة تحديداً؛ والتى سَتُناقش فى هذا الفصل؛ كَشف البحثُ أيضاً عن وجود عدد ضخم من الدراسات السريرية يَغطى عملياً كُلَّ الأعراض والأمراض المعروفة . قدمت تلك الدراسات تقاريرَ وَصفتْ كفاءةَ الحجامة فى معالجة الألم الغير محدّد السبب؛ والألم الناتج عن السرطانَ وداءَ الشقيقة،والأمراض التنفسية، وأمراض الأوعية القلبية،وبعض الأمراض العصبية والنفسية، وأمراض الجلد (Cao et al، 2012).

وعند توسيع نطاق البحث ليشمل قواعد البيانات غير الطبية؛ يمكن الحصول على عدد منْ البحوث غير المنشورة الأخرى Dairani وفى مكان آخر،٢٠٠١ و٢٠٠٣) . بالإضافة إلى الخبرات الشخصية والشهادات التى

قام بتسجيلها العديد من الأطباء الذين مارسوا الحجامة لسنوات طويلة مثل (Chirali وسكوت،1999، Hanz،2009) وأظهرت بوضوح فعالية الحجامة فى معالجة عدد كبيرمنْ المشاكلِ الطبيةِ.

ولكن على الرغم من أن استعمال الحجامة للوقاية من الأمراض ودعم الصحة العامة كان هو الاستخدام الأكثر شيوعاً فى الممارسة الشعبية جاء عدد البحوث فى هذا المجال شحيحاً بما لا ينسجم مع وفرة المصادر والاشارات التاريخية التى تشيرإلى علاقة قديمة وحميمة بين الحجامة والمناعة.

أظهرت بعض الدراسات دوراً محتملاً للحجامة فى إحداث الاعتدال المناعى و ضبط وتنظيم العمليات المناعية المضطربة (Immunomodulatory effect) المرتبطة بأمراض المناعة الذاتية (Autoimmune disease) . وفى عام (٢٠٠٣) سجّل التقرير النهائى للدراسة التى أجراها الباحث الإيرانى (يازدى) أن أهم آلية لتفسيرتأثيرالحجامة ترجع إلى دورها فى تحسين وظائف المناعة و مقدرتها على إحداث التوازن المناعى (١٣). وهذا ما أكدته الدراسة الجامعية التى قمتُ بها فى عام (٢٠٠٥ م)(١٤) التى أظهرت أن العلاج بالحجامة ليس مجرد طريقة فعالة لتسكين الألم فحسب ، بل ولها دور فى إحداث تأثير تنظيمى على المناعة بشقيها الخلطية (Humoral

١٣- Yazdi M Sh (٢٠٠٣): Traditional Persian Medicine & its use in Dermatology, An Ethno Medical Viewpoint, MedReport November; p: ٤.

١٤- رسالة مقدمة للحصول على درجة الماجستير بعنوان :» تأثير العلاج بكؤوس الهواء مع الإدماء على كل من مستقبلات إنترلوكين -٢ والخلايا الطبيعية القاتلة فى مرضى الروماتويد» . قسم الميكروبيولوجيا الطبية والمناعة - جامعة الأزهر-٢٠٠٥م.

Immunity) والمناعة الخلوية (Cellular Immunity) . فقد أجريتُ تلك الدراسة على خمسين مريضاً بالروماتويد تم تقسيمهم إلى مجموعتين الأولى تلقت علاج الروماتويد الدوائى منفرداً؛ والثانية تلقت ذات الدواء بالإضافة إلى جلسات الحجامة . وبعد ثلاثة أشهر من العلاج ثبت إحصائيا وجود تحسن ذى دلالة إحصائية فى مؤشرات (دلالات) نشاط الروماتويد المعملية (سرعة ترسيب الكرات الحمراء ، والبروتين المتفاعل سي، ومعامل الروماتويد) . حيث انخفضت معدلات سرعة الترسيب بعد الشهر الثالث من إضافة الحجامة إلى خطة العلاج التقليدى للروماتويد .ويعتبر معدل سرعة الترسيب(ESR) مؤشرا على درجة الالتهاب وهو إحدى دلالات نشاط المرض المهمة التى يتم متابعة نشاط مرض الروماتويد من خلالها.

كما انخفضت بشكل ملحوظ معدلات البروتين المتفاعل سى (CRP) وهو إحدى المؤشرات المعملية لنشاط المرض- و كان الانخفاض كبيرا و سريعا (بعد الشهر الأول من اضافة الحجامة إلى العلاج الدوائي). وأيضا ثبت إحصائيا وجود انخفاض هائل وسريع فى معامل الروماتويد أو العامل الرثياني (RF) بعد إضافة الحجامة إلى العلاج الدوائى . ومعامل الروماتويد عبارة عن تشكيل معقد للجلوبيينات المناعية (G) و (M) التى تساهم فى عملية المرض . وهذا الانخفاض فى مجمل مؤشرات النشاط المناعى لمرض الروماتويد يشير إلى الدور المحتمل للحجامة فى إحداث توازن للاضطراب والخلل المناعى ؛ يدعم ذلك التحسن فى العلامات الإكلينيكية الذى رافق ذلك الاعتدال المعملى؛ حيث انخفض أيضاً بشكل ملحوظ مؤشر شدة الألم؛ وعدد المفاصل

المتورمة والمؤلمة بالإضافة إلى إنخفاض مؤشر نشاط المرض.و كان الانخفاض سريعا بينما كان الانخفاض متأخرا فى المجموعة التى تلقت العلاج الدوائى منفردا. وهذه النتائج بالإضافة إلى نتائج مخبرية عديدة برهنت على فعالية الحجامة فى تسكين الألم وتهدئة الإلتهابات المفصلية وتحسين حركة المفاصل .

دراسات أظهرت تأثير الحجامة فى زيادة عدد كريات الدم البيضاء :

أظهرت نتائج عدد قليل من الدراسات أن تطبيق الحجامة على نقاط معيّنة من سطح الجلد بالظهر والكتفين والرقبة يمكن أن يعزز كفاءة الجهاز المناعى من خلال زيادة عدد كريات الدم البيضاء بالدم . و جاءت باكورة المحاولات البحثية فيما يتعلق بعدد كريات الدم البيضاء عام (١٩٩٩م)؛ مع دراسة غير مُسجلة قام بها فريق بحث سورى مكوّن من خمسة عشر طبيباً من كلية الطب بجامعة دمشق. اعتمدت خطة البحث على اخذ عينات من الدم الوريدى قبل وبعد الحجامة لأكثر من ثلاثمائة شخص ،ثم إخضاع هذه العينات لدراسة مخبرية نوعيّة شاملة ؛ بهدف الكشف عن تأثير الحجامة ومحاولة التوثيق العلمى للتغيرات التى تطرأ على الدم عقب إجراء الحجامة . وجاء من بين النتائج المخبريّة حدوث زيادة ملحوظة فى عدد كريات الدم البيضاء مع اعتدال فى عدد كريات الدم الحمراء وارتفاع وزيادة الصفائح الدموية لدى الأشخاص الذين استخدموا الحجامة بشكل منتظم على مواضع معينة فى الظهر ((١٥)) ((١٦)).

١٥- عبد القادر يحيى الشهير بالديرانى : الدواء العجيب (الحجامة) - دار نور البشير- دمشق- سوريا -١٩٩٩م.

١٦- El-derani A et al (١٩٩٩): Al-dwaa Al-ajeep: Cuppint therapy in a new view; Nour AL-Basheer Press, Syria. See URL: http://www.ThingsNotSaid.org

وفى عام (٢٠٠٣م) أكدت البحوث المخبرية لدراسة إيرانية تأثير الحجامة على الجهاز المناعى من حيث قدرتها على تحفيز الخلايا المناعية المختلفة وكذلك مقدرتها على إحداث التوازن المناعي(١٧).

أما أول دراسة جامعية مُحكَمة بحثت العلاقة بين الحجامة وكريات الدم البيضاء فجاءت من مصر فى عام (٢٠٠٥ م)(١٨)؛ تقدمت بها المؤلفة بهدف تقييم كفاءة الجهاز المناعى وما يحدث فيه من تغيرات كرد فعل للحجامة؛ وارتكزت خطة البحث على قياس كفاءة الجهاز المناعى من خلال عدة معاملات من بينها قياس عدد الخلايا القاتلة طبيعياً (NK cells) (١٩)، وهى نوع من الخلايا البيضاء التى لها علاقة مباشرة بكفاءة الجهاز المناعى؛ وكذلك قياس الخلايا الليمفاوية وإجمالى عدد الخلايا البيضاء قبل وبعد وأثناء هذه المغامرة المثيرة !

وتبين من نتائج التجربة زيادة فى عدد الخلايا القاتلة طبيعيا (NK cells)؛ما يعنى قدرة الحجامة على استنفار وتحفيز تلك الخلايا المقاتلة الشرسة ؛ التى تدور باقتدار فى الدورة الدموية خاصة الطرفية لمنع أى غزو ميكروبى خارجى لجسم الإنسان ؛ حيث تشارك مشاركة فعالة وفورية فى محاصرة الميكروب الغازى والقضاء عليه. كما يُعزى

١٧- Yazdi M Sh (٢٠٠٣): Traditional Persian Medicine & its use in Dermatology, An Ethno Medical Viewpoint, MedReport November; p: ٤.

١٨- رسالة مقدمة للحصول على درجة الماجستير بعنوان :«تأثير العلاج بكؤوس الهواء مع الإدماء على كل من مستقبلات إنترلوكين -٢ والخلايا الطبيعية القاتلة فى مرضى الروماتويد» . قسم الميكروبيولوجيا الطبية والمناعة – جامعة الأزهر-٢٠٠٥م.

١٩- الخلايا القاتلة طبيعياً Natural Killer Cells : مجموعة من الخلايا يطلقها جهاز المناعة غير المتخصص و تعد فصيلا من الخلايا الليمفاوية المقاومة .

أيضا للخلايا القاتلة طبيعياً دورها الفعال فى الدفاع عن الجسم ضد التحولات السرطانية . وهو ما يعزز دفاعات الجسم الطبيعية ضد العدوى بأنواعها والتحولات السرطانية. وكذلك أظهرت النتائج زيادة فى عدد الخلايا الليمفاوية والمجموع الكُلى للخلايا البيضاء؛ كما أظهرت بقية النتائج مصاحبة هذه التغيرات مع نتائج مخبرية عديدة برهنت على فعالية الحجامة فى تسكين الألم وتهدئة الإلتهابات المفصلية وتحسين حركة المفاصل .

وعلى الرغم من أن نتائج تلك الدراسات أظهرت أن استعمال الحجامة على نقاط معينة على الظهر والكتفين يَزِيد من عدد خلايا الدم البيضاء؛ إلا أن كل تلك الدراسات تمت على نطاق ضيق وتحتاج العدد أكبر من الدراسات تتم على عدد أكبر من المرضى وهذا ما أوصت به تلك الدراسات .

نحو توثيق علمى لتأثير الحجامة على المناعة

« يبنى العلم على الوقائع بنفس الطريقة التى يبنى بها المنزل من الطوب، ولكن كومة من الوقائع ليس علما ، كما أن كومة من الطوب ليست منزلا» (٢٠)

ل بوانكاريه

• • •

تخضع البحوث والدراسات العلمية لقواعد وضوابط وأسس يجب الالتزام بها ، ولا يصح تجاوزها بحال من الأحوال وإلا فقدت قيمتها ووزنها العلمى ولم تعد صالحة للاستدلال والتداول العلمي. هذا بخلاف

٢٠- بوانكاريه (J.H.Poincare) : أحد أعظم علماء الرياضيات فى نهاية القرن التاسع عشر

« المقالات العلمية» التى يمكن أن تُكتب دون تقيد بنفس القواعد . ومن الملاحظ أن تجاوز تلك المعايير والقواعد البحثية أمر شائع فى معظم أبحاث ودراسات الحجامة ، فكثيرا ما يقفز الباحث إلى استنتاج يفيد أن التجربة العلمية الحديثة قد أثبتت فعالية وكفاءة الحجامة على نحو اسطوري، وعند التقييم والتحكيم العلمى يظهر أن كل تلك الاستنتاجات مبنية على الملاحظة غير المقيدة بل وقد تصطدم أحياناً بالاستنتاج المنطقى؛ فهذا الاستنتاج لا يعنى بالضرورة أنه يؤكد ذاك الافتراض.

وتجاوز المنهج العلمى السليم للبحث ، لا يعد خرقا لأصول البحث العلمى فحسب ، بل إنه يمثل صداما صارخا مع مفهوم كلمة « العلم» بحد ذاتها . فالمفهوم الحديث للعلم يرى أن « العلم هو القواعد التى بنيت على الملاحظة ، والتجربة، والاستقراء»(٢١) .

ولكن ما هو « المنهج العلمى للبحث السليم» ؟

رغم ما حدثنا به (توماس كون) فى كتابه « بنية الثورات العلمية» عن اختلاف المناهج العلمية بين علم وآخر وبين زمن وآخر؛ فإن الخطوط العريضة للمنهج العلمى تتمثل فى الخطوات التالية :

تساؤل ينبع عادة من دراسة علمية سابقة وأحياناً من مشاهدة غير مسبوقة.

٢١- عبد الحليم محمود : موقف الإسلام من الفن والعلم والفلسفة . ص: ٦٥ – ١٧٧ \ دار الرشاد ٢٠٠٣.

اقتراح نظرية أو محاولة لافتراض إجابة.

- إجراء تجارب ومشاهدات لمحاولة إثبات صحة الفرضية؛ ومحاولة إثبات فشل تكذيب هذه النظرية وهو ما يُعرف بـ « نفى فرض الصدفة» Disproving the Null Hypothesis

النشر فى المجلات العلمية المعترف بها . فالعلم مثل الزواج لا يعترف به إلا بالنشر.

- المنهج أو المنهجيّة هو الطريق المؤدى للكشف عن الحقيقة فى العلوم المختلفة وذلك عن طريق جملة من القواعد العامة التى تسيطر على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة مقبولة. أى أنه مجموعة الإجراءات الذهنية التى يستخدمها الباحث مقدماً لعملية المعرفة التى سيقدم عليها،من أجل الوصول إلى حقيقة مادة البحث.

- و المنهج « Method » لفظة مشتقة من كلمة يونانية بمعنى البحث أو النظر أو المعرفة ويرجع أصلها الاشتقاقى إلى معنى الطريق المؤدى إلى الغرض المطلوب. و يعتبر « منهج البحث العلمى « علما قائما بذاته يسمى «علم مناهج البحث» « Methodology» أو علم المناهج إختصارا، ويمثل أهم جوانب العلم والمعرفة العلمية (٢٢) .

وقد استقر معنى كلمة منهج منذ عصر النهضة الأوربية بمعنى طائفة من القواعد العامة المصاغة من أجل الوصول إلى الحقيقة من العلم ، ومعنى المنهج هو الطريق المؤدى إلى الكشف عن الحقيقة فى العلوم

٢٢- د. مبروكة عمر محيريق : المعلومات والبحث والتأهيل والتكوين , القاهرة : عصمي للنشر والتوزيع -١٩٩٦م .

بواسطة طائفة من القواعد العامة تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة .

الباحثون ! .. هم أيضاً ؟

فى بداية رحلة اهتمامى بتطوير رؤية علمية للحجامة؛ كان عليّ النبش فى كومة كبيرة من الخرافات والأكاذيب لاستخلاص الحقائق العلمية المتعلقة بالحجامة . ولكن بعد أن تجاوز قطار بحثى محطة التفريق بين العلم والخرافة تلك؛ وجدتنى اصطدم بكومة من «العلوم الزائفة» محشوة بتحديات ومصاعب أكثر من كومة الجهل والخرافة. واكتشفتُ أن مهمة التفريق بين العلم والخرافة مهمة سهلة نسبياً إذا ما قورنت بمهمة كشف« العلم الزائف»؛ فالعلم الزائف يمارسه أحياناً علماء مشهود لهم بالمقدرة العلمية؛ ولكن لظروف معينة قد يندفعون إلى التخلى عن المنهج العلمى السليم فى البحث؛ وينجرفون إلى مغامرة يتنازلون فيها قواعد وأصول المنهج العلمى السليم؛ فيصلون إلى نتائج كاذبة أشبه بالحقائق؛ وقد يتسرعون فيعلنون ما ظنوه اكتشافاً قبل النشر العلمى فى المجلات والدوريات العلمية المحترمة .

والعالم الذى يتجاهل أصول وأسس البحث العلمى السليم ، أو يحتال على تلك الأسس بطريقة أو بأخرى ، يكون قد خرج عن صفته كعالم.. ولا يوصف فى أجواء العلماء إلا بأنه مهرج ، ويكفى أن ينكر – بصفته كعالم – شيئا من تلك القواعد البحثية ، أو يتساهل فى التعاطى معها ، ليسحب العلماء ثقتهم فيه ، وينبذوه من محيطهم.

ليس الجهل والخرافة فقط ما يُضلل الحقائق؛
فهناك نوع آخر من الآفات التى تصيب العلم وتحيله إلى « علم ردئ» ..

واسمحوا لى أن أستعرض سريعا بعض هذه الظروف التى أضعفت القيمة العلمية لبحوث الحجامة تحت العناوين التالية :

١ .غلبة العواطف الدينية على الحيادية العلمية :

فمعظم بحوث ودراسات الحجامة التى قام بها باحثون مسلمون انطلقت من فكرة إثبات «الإعجاز العلمى فى السنة»؛ وهو ما يجعل الباحث متحيزاً من البداية لإظهار نتائج تؤيد الأحاديث النبوية التى يرغب فى إلصاق مسمى « الإعجاز العلمى » بها . وكلما كانت الفكرة التى يود الباحث إثباتها مهيمنة على تفكيره ، اتسعت زاوية الانحراف عن منهج البحث السليم .

« على العالم أن يتحلى بصفات التواضع والصبر والنزاهة حين يلاحظ الظواهر ، وأن يصفها على ما هى عليه ، لا كما يتمناها أن تكون»
بول موى(٢٣)

٢ . شيوع الأخطاء المعلوماتية وضعف التحضير للبحث :

وهو خطأ لا يجوز التهاون مع مرتكبه، فى عصر تدفق المعلومات وثورة الاتصالات، وعلى الرغم من أن بحوث الحجامة تبدو شيقة فإن هناك بعض الأخطاء المعلوماتية تخللت بعض الأبحاث. فالمعلومات فيها تتعثر

٢٣- بول موى: المنطق وفلسفة العلوم, ترجمة الدكتور فؤاد حسن زكريا, ومراجعة الدكتور محمود قاسم , القاهرة: ١٩٦١,. ص: ٢٠٤.

وتصطدم لدرجة تدخل القارئ في الكثير من الارتباك وسوء الفهم. الأمر الذي يوجب على الباحث فتح قنوات الاتصال الخاصة بالمعلومات ومراكز البحث السليمة وذات الكفاءة العالية وإلا فإن البحث العلمي سيأتي فارغا ومعقدا وغير قابل للتنفيذ، فضلا عن ضياع الهدف الرئيس من البحث وهو وضع صورة من صور الطب التراثي القديم في إطار يوافق العلم الحديث.

٣. التكلف والتحايل على الحقائق العلمية:

تتميز معظم بحوث الحجامة بغياب القدرة على الإقناع والربط بين النتائج المعملية والنظريات التي يمكن أن تفسرها. وهي فيما يبدو مهتمة بالإثارة والتشويق على حساب الجودة والكفاءة، ربما بهدف إبهار القارئ المتعطش ابتداء لهذه النتائج. وفي سبيل ذلك يتم ليّ المفاهيم العلمية والتحايل على الحقائق لتتفق مع ذلك الهدف،ولهذا تخرج الأبحاث مدعومة بحقائق متحيزة وغير موضوعية ،وهو ما يذهب بمصداقيتها ويقلل من وزنها العلمي فلا يُلتفت إليها من قِبل العقول العلمية الرصينة والمؤسسات الأكاديمية.

٤. التسرع و الاعتماد على النظريات التي لم تثبت والتسليم بصحتها:

كثيرا ما ترتكز بحوث الحجامة على نظريات تاريخية مهترئة وتفسيرات تنتمي لمدارس علاجية لا يعترف بها الطب الحديث و لا ترقى لمستوى الحقائق العلمية الثابتة ولا يمكن الاطمئنان لها، وتفسيرات مضحكة أحيانا؛ وقد يكتفي الباحث بعرض ملاحظاته وخبراته الشخصية للبرهنة على صحة النظريات التي افترضها، ثم يملأ الدنيا ضجيجاً وعجيجاً بها،ولا تزيد تلك النظريات عن تكريس لنظريات فلسفية قديمة

من الشرق والغرب وأخرى جديدة لم تثبت فرضيتها بعد ، وقد يسارع البعض نحو بعض البحوث التى لم تنضج بعد للإعلان عن موافقتها للحقائق العلمية. ولكن مجرد جميع وتكويم الملاحظات والنظريات ، لا يجعل من كل ذلك بحثاً علمياً، ولهذا فإن كثيرا من تلك الأبحاث تتسم بالذاتية ، وتتضمن استنتاجات غالبا ما تكون مبنية على الملاحظة غير المقيدة.

٥ . ضعف مراجع البحث ومصادره:

يجب على الباحث عند كتابة بحثه الإشارة إلى مصادر معلوماته بدقة ووضوح ليتسنى للقارئ أو لأى باحث آخر الرجوع إليها والتأكد من صحتها. والمراجع الأصلية (المصادر) هى المراجع ذات القيمة فى الرسائل والأبحاث. وكلما زاد استخدام المراجع الأصلية وكثرت الحقائق المستفادة منه عظمت قيمة البحث ، وبخاصة إذا كانت هذه الحقائق وتلك المعلومات لم تصل لها يد من قبل، ولم يسبق لأحد أن اقتبسها. والمراجع الأصلية قد تكون حديثة أيضاً ، كالإحصائيات والتجارب العلمية الموثوق بها وغير ذلك(٢٤). وفى حال كون مصادر المعلومات ضئيلة إلى الدرجة التى لا تمكن من تزويد الباحث بشئ أكثر من مجرد تخمين، فإنه يجب إرجاء البحث فى هذه المشكلة كمشكلات غير قابلة للبحث (٢٥).

و لكن بحوث الحجامة كثيراً ما تعتمد على المراجع الثانوية التى قد يسئ فهم ما كتب فى المراجع الأصلية،أو تلك التى تلون المادة بلون خاص يبعدها عن الفكرة التى سيقت لها فى الأصل، دون تحقيق لما ورد بها فى المرجع

٢٤- أحمد شلبى : كيف تكتب بحثا أو رسالة؟ . مكتبة النهضة المصرية ،الطبعة الرابعة والعشرون١٩٩٧.

٢٥- محمد زيان عمر : البحث العلمى مناهجه وتقنياته. داز الشروق ١٩٨٣.

الأصلى . بل ويحدث كثيرا أن يتقدم باحث فى الحجامة بتقارير تفتقر إلى أى توثيق ودون أن يذكر مرجعاً علمياً واحداً موثقاً يبرهن على صحة ما توصل إليه. وقد يعتمد على مواقع الانترنت والكتب الحديثة التى لا تكتب مصادر مادتها وهى مصادر قليلة الفائدة و ما تقدمه يعد كلاما مرسلا لا يمكن الاطمئنان إليه أو الوثوق به، و النتيجة أبحاث غير مؤهلة لا تستطيع أن تقنع أى عقلية علمية ما يجعل الأوساط العلمية تنفض عنها.

٦ . الخلط و عدم التمييز بين أنواع النشاطات البحثية:

بعض البحوث ينبغى تصنيفها تحت مسمى «المقال» وليس «البحث» العلمى ، فمع ما يؤديه المقال من خدمة جليلة فى نشر الأفكار والآراء إلا أنه يختلف اختلافا كبيرا من حيث قيمته العلمية ودرجة الدقة والابتعاد عن العنصر الشخصى الذى تستلزمه الدقة العلمية فى كتابة تقارير البحوث.

٧.غياب الانتساب إلى جهة علمية معتبرة :

كثير من بحوث الحجامة التى تُنشر فى الصحف وتتناولها وسائل الإعلام - لا تُعلم هويتها أو الجهة العلمية التى قامت بالإشراف عليها أو تلك التى قامت بنشرها، ما يجعلها تتسم بالذاتية والرؤية الشخصية.

هناك فئتان يجب أن نحذر من خداعهما : الأطباء والسياسيون . علينا أن نفتش عن الحقائق بأنفسنا؛ وأن نقرر بأنفسنا كيف نعيش حياة سعيدة وكيف نعمل من أجل عالم أفضل.

(لينوس باولينج)

ماذا نفعل بـ العلم الردىء ؟!

الروح العلمية والانضباط الأخلاقي والعلمى هى المقومات التى تجعل من العلم ظاهرة إنسانية ثابتة ، وتضمن تقدمه واستمراره ، ولذا فإن الروح العلمية ليست فقط جوهر العلم وإنما هى ضمانة تقدمه. وقد بدا جلياً افتقار بحوث ودراسات الحجامة إلى تلك الروح العلمية . و إذا استمر تناول بحوث الحجامة بهذا الأسلوب المتخلف عن قوانين البحث العلمى ، فإنه سيدمر نفسه ، وإن امتاز بالتشويق والإثارة إلا أنه لن يستمر طويلا .

والصواب أن ينطلق البحث بتجرد تام،و بدراسة علمية متأنية تتفق وأصول وأسس البحث العلمى المتعارف عليها عالميا، وقد يستغرق منا ذلك سنين بل قد يستغرق العمر، دون لحظة ندم لأن هذا هو الطريق الوحيد الذى يوصلنا بإذن الله إلى الحقائق ويجنبنا مزالق السعى وراء ما لا طائل منه . علينا أن نُمكن للتعريف بالحجامة ،وما يمكن أن تُسهم به فى حفظ الصحة وتعزيز المقاومة للأمراض؛ إلا أن هذا ينبغى أن يحاط بالضوابط المحصنة من الوقوع فى الأخطاء المنهجية التى تقلل من الثقة بالنتائج.

وهكذا؛ فكما اندفع بعض السُذج والجهال إلى استخدام الحجامة بشكلٍ مسرف ارتكازاً على النصوص والمعتقدات الدينية؛ واتخذها البعض وسيلة للدجل والاحتيال والمتاجرة بالمرضى . كذلك اتخذها بعض الباحثين الهزليين وسيلة لفبركة النتائج والبراهين؛ وهى جميعاً أسباب وجيهة لرفض الجهات الصحية الرسمية الاعتراف بممارسة الحجامة

. ولهذا؛ فإن تقنين الحجامة بطريقة عملية لاستخدامها فى مؤسسات الرعاية الصحية تبدو مهمة فى منتهى الصعوبة؛ فهى تواجه بعقبات يصعب تجاوزها؛ وليس هذا مجال سردها . وإن كان من المناسب أن نوصى وزارات الصحة فى العالم العربى وأصحاب القرار فيها أن يسلكوا مسلك الدول المتقدمة فى جلب ما هو نافع ومفيد لصحة الناس،فقوانين الممارسة الطبية فى ألمانيا على سبيل المثال؛ تسمح بممارسة العلاج بالحجامة تحت إشراف طبى إلى أن تقول نتائج البحوث كلمتها؛ ولا ترى منظومة العلاج الطبى هناك بأساً فى الانتفاع بها ما دام المرضى يستجيبون لها ولا تظهر لها آثار جانبية . كما تسمح القوانين البريطانية بممارسة تقنيات الطب البديل والتكميلى تحت إشراف مؤسسات الرعاية الصحية الرسمية دون انتظار لنتائج البحوث الأكاديمية؛ حيث ترى أن الممارسة والبحث يمكن أن يسيرا معاً بشكل متوازٍ ما دامت تلك الممارسات تتسم بالمأمونية ولا تعرض حياة المواطنين للخطر؛ وبعض ممارسات الطب البديل يتم تغطية نفقاتها ضمن خدمات التأمين الصحى فى بعض الولايات الأمريكية.

كما أرى أن يتم تأهيل الأطباء والعاملين فى الحقل الصحى للقيام بعمليات الحجامة فى المستشفيات والمصحات الطبية،لخطورة ممارستها من قبل عوام الناس؛ حيث يمكن أن تنتشر بعض الأمراض شديدة الخطورة عن هذا الطريق.

مخاطر ... ولكن يمكن تفاديها

لكن سوء استخدام أى علاج لا يعنى عدم جدواه ولا ينبغى أن يدفع باتجاه تجريمه والتشهير به والاقلال من قيمته العلاجية؛ فالجريمة

تبقى عار مرتكبها لا ضحيتها. كما أن سوء الاستخدام لا يُسوّغ ترك علاج فعال بيد الدجالين والمحتالين والدراويش؛ بل يستوجب تضييق الخناق عليهم من خلال فتح ابواب الممارسة السليمة تحت مظلة الرعاية الصحية الرسمية .

وعوضاً عن إهدار الفائدة الوقائية للحجامة؛ يجدر بالجهات المعنية بالصحة العامة تنظيم وتقنين ممارسة الحجامة ومراقبتها؛ ووضع الضوابط التى تحكم ممارستها ؛ وتجريم كل من يمارسها بغير تخصص بحيث تكون هناك منافذ معلومة لكل من أراد هذا النوع من العلاج ، وألا توفر تراخيص ممارسة الحجامة خارج الإطار الطبى وتحت مراقبته؛ ولوزارة الصحة فى المملكة العربية السعودية تجربة رائدة بهذا الصدد يجدر الالتفات إليها .

أما فيما يتعلق بمخاطر انتشار العدوى بسبب الأدوات المستخدمة فى هذا الممارسة وتخوف انتشار عدوى الأمراض التى تنتقل بالدم؛ فان كثيراً من أجهزة الحجامة الحديثة التى تستخدم لمرة واحدة متوفرة فى منافذ بيع المستلزمات والاجهزة الطبية.

لكل هذا؛ يجدُر بالجهات الصحية الرسمية؛ عوضاً عن رفض العلاج بالحجامة بحجة قلة البحوث؛ أن يُخضعوا هذه الممارسة التراثية لمزيد من التحرّى والاختبار والتجريب . وأن يُقْبَلُ هذا العلاج–قبولاً حذراً – كإحدى الوسائل الطبيعية الآمنة لحفظ الصحة ومقاومة الأمراض؛ وأن تسير الممارسة التى يضمن مأمونيتها عمرها التاريخى الذى يتجاوز ٥٠٠٠ سنة؛ جنباً إلى جنب مع البحوث والدراسات؛ لا أن يظل الانتفاع العلاجى



السيرة الذاتية

صهباء محمد بندق

طبيبة وكاتبة

مؤهلات علمية :

- بكالوريوس العلوم - جامعة القاهرة - عام ١٩٩٣ م.
- بكالوريوس الطب والجراحة- جامعة القاهرة- عام ١٩٩٧م.
- دبلوم الدراسات الإسلامية (المعهد العالى للدراسات الإسلامية - معهد الباقوري)- القاهرة- عام ٢٠٠٠
- دبلوم المركز الثقافى الإسلامى (معهد إعداد الدعاة –وزارة الأوقاف)- القاهرة- ٢٠٠٢ م.
- دورة تدريبية فى العلاج بالطب البديل –جامعة الزقازيق- ٢٠٠٤م
- ماجستير الميكروبيولوجيا الطبية والمناعة – جامعة الأزهر – ٢٠٠٧م
- دبلوم الإعلام – معهد البحوث والدراسات العربية – القاهرة - ٢٠١٠.
- فى إطار دراسة الماجستير فى قسم الروماتيزم والتأهيل – كلية الطب جامعة القاهرة
- فى إطار دراسة ماجستير بالإعلام تحت عنوان : معالجة الصحافة المصرية لقضايا الطب البديل – معهد البحوث والدراسات العربية.

مؤلفات وبحوث

أولاً : كتب باللغة العربية :

- فلسفة الزى الإسلامى للمرأة – دار السلام
- الحب كيف نفهمه ونمارسه – دار السلام .
- كيف نفهم الحب؟ - مركز الإعلام العربي.
- التلبينة وصية النبى ودواء العصر- مركز الإعلام العربي.
- أسرار التلبينة .. الكنز الضائع – دار السلام
- الحجامة بين العلم والأسطورة – دار السلام
- أبو هريرة (رضى الله عنه) ..ذاكرة العهد النبوى – دار السلام
- أبو هريرة – أسرار الذاكرة وقوة الأرقام- دار السلام
- صيدليتك من مطبخك – دار الراية.
- ترجمة رواية « قصة سريبرينيتشا » للكاتب البوسنى إسنام طاليتش (رواية توثق الحرب على البوسنة).
- إنفلونزا الخنازير والتدابير الوقائية فى الهدى النبوى – دار السلام
- شُرب الماء وفق الهدى النبوى : مفتاح الصحة المنسى – دار السلام
- كسر الصمت – مجموعة قصص واقعية عن جرحى العدوان الاسرائيلى على غزة ٢٠٠٩ – مركز الاعلام العربى .
- التداوى فى الهدى النبوى – بين العواطف الدينية والأخطاء المنهجية فى البحث العلمى – دار السلام ٢٠١٣

كتب بلغات أجنبية :

- Cupping Therapy: The Great Missing Therapy – 2nd edition - Dar Al-Salam, 2010
- Cupping Therapy: The Ancient Art of Healing - Dar Al-Salam, 2007
- Les Ventouses «Al Hijama» L›ancien Art Traitement que- Dar Al-Salam, 2008

بيانات التَوَاصُل :

• البريد الإلكتروني :

Sahboob19@hotmail.com

• العنوان على الفيس بوك :

http://www.facebook.com/sahbaa.bondok

• المحمول : ٠١٠٠٥٠٦٩١٠٥

الفهرس

أول الكلام ٥

المقدمة ٧

الفصل الأول :

ماهى الحجـــامة ؟؟ ١٥

عــزف جديد على أوتـــار لحن قديم ١٨

اســـم يتردد وعــلمٌ يتجدد ٢١

الفصل الثانى :

كيف تُجرى عملية الحجــامة؟ ٢٥

الحجامة السريعة (الوميض) ٢٧

الحجامة المُنْزَلقة أو المتحركة ٢٨

الحجامة مع العلاج المائى (الحجامة المائية) ٣٠

الفصل الثالث :

من يقـــوم بعملية الحجــامة؟ ٣١

الأطباء الهُواة .. صنيعة الإعلام الجاهل .. ٣٣

احذر الحجامة إذا كنت أحد هؤلاء ! ٤٠

دجل باسم السنة الشريفة ٤٢

كيف تتعرف على ممارس الحجّامة المحتال؟ ٤٧

الفصل الرابع :

الحجـــامة والوقايـــة... التوأمـــة المنسيّة !! ٥٣

مناعتنا الطبيعية فى خطر! ٥٧

قبل كل شيئ : الوقاية ٦٦

أبـداً ... لا تتجاهل الطب الحديث ٧٧

الفصل الخامس :

الحجـــامة والمناعـــة... وثالثهما العـــلم ٨١

كيف تتكون بؤرة اضطراب التوازن البيولوجي؟ ٨٦

كيف يمكن أن تدعم الحجامة جهازك المناعي ؟ ٨٩

ولكن ما الذي تقوله البحوث العلمية ؟ ١٠٢

نحو توثيق علمي لتأثير الحجامة على المناعة ١٠٧

السيرة الذاتية للمؤلفة ١٢١

إذا كان لديك أى مقترحات أو ملاحظات
فـلا تتردد فى الاتصـال بنـا على أرقـام

25784444 - 25948223 - 25948224

أو عـلـى

kitabelyom@gmail.com

تليفاكس: 25784444 - 25948223

رقم الإيداع: 4447 / 2015
الترقيم الدولى I. S. B. N
978 - 977 - 08 - 1659 - 7